ملعون القبو
رانيا حجاج

ملعون القبو

رانيا حجاج

رانيا حجاج

ملعون القبو

تأليف/ رانيا حجاج

تدقيق لغوي/ أسيل إبراهيم

صورة الغلاف/ موقع Freepik.com

جميع الحقوق محفوظة: للكاتبة رانيا حجاج
لا يجوز نشر أي جزء من هذا الكتاب أو تخزين أي ماد بطريقة الاسترجاع، أو نقله، على أي نحو، أو بأي طريقة سواء كانت إلكترونية أو ميكانيكية، أو بالتصوير، أو بالتسجيل أو خلاف ذلك، إلا بموافقة كتابيه من الكاتبة مقدمًا.

رانيا حجاج

إلى

قرائي

الداعم الأول لي

رانيا حجاج

هذه الرسالة إلى أنا المستقبلية، التي سألتقي بها هنا بعد عشر سنوات من الآن، أي يوم الاثنين الموافق الثامن عشر من يناير لعام ألفين وخمسة عشر .

عليك إنجاز ما فشلت في تحقيقه سابقًا. عليك التخلص منهم.

إن كنت "أنا" من يقرأ هذه الرسالة الآن، فأرغب بتقديم التحية لك لمقدرتك على النجاة حتى اليوم. وأذكرك بأن عليك تلافي الأخطاء السابقة. إنها فرصتك الأخيرة.

وفي حال كان قد سبقني إلى قراءتها شخص آخر، فكل ما أستطيع قوله لك يا رجل هو:

"اهرب"

رانيا حجاج

.1.

أمعن النظر إلى علبة الحلوى المعدنية القديمة أمامه، ثم عاد يحدج الرسالة الملقاة على الأرض بقلق. لقد حذره والده كثيرًا من مغبة الحفر في باحة المنزل، يصرخ في وجهه أحيانًا ليذكره بأنه ليس كلبًا ليفعل ذلك. خاصةً وأنه لا يفهم السبب الحقيقي وراء فعلته تلك، ناهيك عن المسوّغ الواهي الذي يخبره به جو كلما أمسك به، وهو يحفر بمجرفته الأرض: "أنا أبحث عن الكنز". أي كنزٍ ذاك الذي يُضيع من وقت والده ساعات في ترتيب فوضاه، التي ملها مؤخرًا، فأصبح يُجبره على ترتيبها بنفسه، ناهيك عن منظر الباحة الذي يدل على وجود خُلدٌ يسكنها، من كثرة الحفر المتناثرة هنا وهناك.

لم يمر على وجودهم هنا أكثر من أسبوع، منذ انتقالهم حديثًا من تكساس إلى هنا، بعد حصول والده على وظيفته الجديدة. ليضطر معها جو إلى ترك اصدقائه –على ندرتهم– بالمدرسة، والانتقال إلى مكان جديد عليه أن يحفر فيه ليجد شخصًا يقبل بصداقته.

وها هو الآن قد وقع في مشكلة هذه العلبة المعدنية، وما تحمله من رسالة تبدو كمزحة لولدٍ في الخامسة عشر من عمره أكثر من كونها حقيقةً عليه تصديقها. كما أن إخباره لوالديه بقصتها لن يجلب له إلا المتاعب، خاصةً بعد أخر تحذير تلقاه من والده بخصوص مسألة الحفر. كان عليه أن يفعل شيئًا، لكنه اختار تجاهل الرسالة التي حُدد

موعدها بعد أسبوع واحد من الآن. في النهاية قرر أعادة دفنها مجددًا، على أمل أن يرى صاحبها الذي سيأتي بحثًا عنها –إن كان حقيقيًا–.

أنهى عمله في الباحة، وعاد للمنزل حتى يتناول طعام العشاء، ثم قضى بعض الوقت أمام التلفاز، قبل أن يصعد إلى غرفته للنوم. فغدًا لديه يومًا حافلًا في مدرسته الجديدة. "لن تكون المدرسة الثانوية هنا بهذا السوء". حدّث نفسه في محاولة بائسه منه للتفاؤل بعامه الأول في هذه المرحلة، التي ستضعه تحت الميكروسكوب من قبل والديه. حيث عليه الدراسة جيدًا وربما الانخراط في نشاط رياضي يؤهله فيما بعدّ للحصول على منحة خاصة –كما يأمل والده– تقيه في المستقبل عناء البحث عن أي جامعة تقبل استضافة فاشل مثله، كما كان يناديه زميله بول في مدرسته القديمة. وهو المعروف بتنمره الذي لا يفلت منه طالب يتسم بصفة الفشل، –التي يختار هو الصاقها بمن يرغب وضعهم في هذا الحيز الأكثر ضيقًا من عقله، إن كان يملك واحدًا–.

تمنى لنفسه ليلة سعيدة، قبل أن يطفئ ضوء المصباح بجواره. لكن عقله على عكس عينيه، ظل يعمل مشغولًا بتلك الرسالة. تراوده بعض الأفكار المشوبة بمشاعر مختلطة ما بين الخوف وحس المغامرة، في انتظار ذلك المجهول القادم قريبًا.

* * * *

لم يكن اليوم الأول بالنسبة له سيئًا، بل أشبه بسقوطه في الجحيم مبكرًا. حيث وجد نفسه دون رغبةً منه، محتجزًا في زاوية غريبي الأطوار. طمئنته والدته حين أتاها متذمرًا، بأن الأمور ستؤول إلى الخير، وأن عليه اعطائها وقتًا لتجد فرصتها للنجاح. مذكرةً أياه بأن عليه تقدير كل تلك التضحيات التي يقوم بها والده من أجلهم، بدلًا من افتعال المشاكل، أو إشعاره بسوء ما أقدم عليه. احتضنته، وقبلت وجنتيه قبل أن تأمره بالعودة إلى غرفته لاستبدال ملابسه، لتناول بعض الطعام.

فتح باب غرفته على اتساعها، ألقى حقيبته على السرير، ثم أخذ يخلع جاكته سريعًا، حين تذكر أمر العلبة. ليترك كل شيء مهرولًا نحو نافذته المطلة على الحديقة، يتأمل مكان حفرة الأمس، ليجدها كما هي لم تمس. "عليّ ان أراقب الأمر جيدًا، فقد يغافلني الرجل بمجيئه، فلا أراه". فكر وهو يركض باحثًا عن منظاره الذي أهداه له جده وهو في العاشرة من العمر، رغبةً منه في تعليمه طريقة مراقبة الطيور، لكن ذلك لم يكتمل لوفاة جده بعدها. فكر فيه قليلًا، وهو يتأمل منظاره الملقى بين العديد من الأشياء التي كان قد نسي وجودها من الأساس.

"ربما لو كان جدي هنا، لسعى للقاء الرجل بنفسه". فكر.

توجه بعدها إلى النافذة، ليضع المنظار على حافتها من الداخل، ثم قام بوضع بعض الوسائد اسفلها على الأرض لتمنحه بعض الراحة أثناء الجلوس. قاطع كل ذلك صوت والدته تناديه لتناول الطعام، فأكمل خلع ثيابه بسرعه، تاركًا ثكنته على وضعها حتى يعود.

في المطبخ، ألتهم جو طعامه سريعًا، خيفة أن يفوته شيئٌ ما، بينما هو يجلس ها هنا يلوك طعامًا لا يحبه. طالعته والدته بنظرة تعجب:

"أه، أراك اليوم قد أنهيت طعامك دون تذمر".

"كنت جائع". لم يجد تفسيرًا أفضل، كما أنه كان جائعًا بالفعل.

"يبدو أنّ المكان الجديد قد أثار شهيتك".

"ربما". قال متهيئًا الفرصة للفرار لأعلى.

"سيتأخر والدك عن العودة الليلة أيضًا". قالت مستاءة. فمنذ قبوله لتلك الوظيفة وهو يُمليها اهتمامًا كبيرًا على غير العادة. ساعات كثيره منذ وصولهم، أنقضى اغلبها في المكتب، وأوقات أكثر مضت دون أن يجلس معهما. شعر جو نحوها ببعض الشفقة، وأقترب منها ليحتضنها: "لا تبتأسي يا أمي، تعلمين أنها فترة وستمضي حتى يستقر وضع أبي في العمل. كما أني هنا بجوارك، ألست بكافٍ؟" نظر إليها مبتسمًا، فمالت إليه تقبله: "لقد كبرت حقًا يا جو".

* * * *

لمدة أسبوع كامل، لم يفارق جو ثكنته بجانب النافذة، يتحين الفرصة بين الوقت والآخر لكشف غموض تلك الرسالة التي تقتضي التخلص من أحدهم. راودته أفكار كثيرة عن كينونة صاحب الرسالة، إن كان قاتلًا متسلسلًا؟ أو إن كان عليه تسليم الرسالة للشرطة؟ أم أنّ رجلًا قد كتبها حين كان صبيًا أو شابًا –من يدري– ولن يهتم بالعودة لأخذها؟ أو ربما قد نسيها كاتبها من الأساس. ماذا لو كان قد نسيها فعلًا؟ "سأكون قد ضيعت كل هذا الوقت هباءً". همس بصوتٍ يشوبه بعض الخيبة من امكانية حدوث ذلك.

تعلقه باكتشاف صاحب الرسالة، جعله يدّعي المرض في اليوم المحدد، كي لا يذهب إلى المدرسة، خوفًا من ظهوره وقتها. بيدّ أنّ والدته ارغمته على الذهاب، بعد اكتشافها زيف دعواه. لتتعلق عينيه بالساعة الموضوعه على جدار صفه، تحسب معها الدقائق التي تمر، حتى يغادره.

يومها تأخرت والدته قليلًا عن الحضور، رغم أنها لم تفعل ذلك قط، لكن هكذا تسير الأمور التي تستعجل حدوثها، ببطئ ملئه بالعقبات. لم يعاتبها بقدر، ما طلب منها أن تسرع في طريق العودة. ليصاب من جديد بخيبة علنيه، حين تخبره والدته بأنهما سيتناولان الغداء في الخارج برفقة والده، الذي دعاهما له بعد خلافٍ حاد دار

بينهما ليلة أمس، لم يعرف عنه جو شيئًا. حيث اتهمته كايتي بتعمده إهمالهما منذ جائا إلى هنا، رغم علمه برفضها التام مسبقًا الانتقال، ورضوخها لذلك فقط لارضائه. وليعالج زوجها الأمر نسبيًا؛ أخبرها بأنه سيمضي وقت غدائه معهما في أي مطعمٍ تختاره. وكأنه بذلك يحاول تعويضها عن جميع الأيام التي نامت فيها مستاءة، في انتظار عودته.

هل كان بيد جو حيلة؟ لقد وجد نفسه أمام أمر واقع لا يمكن الهروب منه أو تأجيله. هو يعرف كم يساوي هذا اللقاء لأمه، التي أصبحت مؤخرًا مكدرة البال. عليه فقط الآن، قتل الفضول وتمني أن لا يسبقه الرجل إلى العلبة.

مر وقت الغداء أكثر بطئًا من الوقت الذي قضاه بالصف. هنا في هذا المطعم، لا وجود لساعة يمكنه معها حساب كل تلك الدقائق الضائعة. تبدو والدته سعيدة، مشرقة الوجه، مما أشعره ببعض الذنب، لكثرة سؤاله قلقًا عن الوقت، مما أعطى انطباعًا خاطئًا بعدم شعوره بالسعادة لهذا التجمع العائلي –وإن كان قد جاء متأخرًا–. في النهاية طلبت منه والدته أن يتوقف عن سؤالها، مما جعل فمه يُخاط بمخيط وهمي، لا يُفتح إلا للأكل –الذي كان جيدًا–. سأله والده عن انطباعه عن المدرسة، أومأ له برأسه مع نبرة بسيطة "هاه"، أي لا بأس بها.

علا وجه جو ابتسامة صادقة، عندما رأى والده ينظر في ساعته. "لقد حان وقت العودة للعمل". قال لزوجته التي انطفئ وجهها فجأة. "ألتقي بكِ في المنزل. لن أتأخر الليلة، يا عزيزتي". قال لها قبل أن يغادر طابعًا على شفتيها قبلة حارة. لتبقى كايتي بعد ذهابه تطالع الأطباق الفارغة، إلا من بقايا طعامٍ لا يُذكر.

جذب جو جزءً من ثيابها: "أمي ألن نعود إلى المنزل؟"

"ما بالك اليوم والمنزل؟ ألست تتذمر دائمًا من البقاء فيه؟ الآن وقعت في حبه؟" قالت بحنق.

التزم هو الصمت، لما لامسه من ضيقٍ قد حل بوالدته. وعاد يتأمل طبق المعكرونة المنتهي أمامه، واضعًا بعض البطاطس المقلية المغمسة بالكاتشب في فمه. على أمل أن تقرر والدته المغادرة لمّا تراه شاعرًا بالملل، ليأتي قراراها ذاك متأخرًا إلى ما بعد فنجان قهوتها الثاني.

* * * *

لم ينتظر جو صفّ والدته للسيارة بالكراج، حتى أسرع بالنزول مهرولًا إلى الباحة، حيث وجد آثار تنقيب قد حدثت في الوضع أكس، الذي ميز به مكان العلبة. "إذًا الرسالة حقيقية؟" ابتسم فرحًا، قبل أن يبتئس من ضياع فرصة لقاء صاحبها. كان عليه التأكد أولًا، قبل أن يختلق نتائج وهمية. توجه نحو غرفة الكراج

يتفحصها قبل دخوله، خيفة أن تراه أمه فتزجره، لحسن حظه كانت والدته قد سبقته للمنزل. سحب مجرفته بهدوء، وعاد بها إلى الحديقة حيث أزاح بعض سينتمترات من التراب، الذي كشف دون شك عن عملية حفر سابقة لا تخصه. أكمل ما تبقى سريعًا، لينتهي إلى اللاشيء، لقد أختفت العلبة، وأختفى أي أمل للوصول إلى صاحبها. "بئسًا". قال غاضبًا، يرمي بمجرفته أرضًا.

عاد لغرفته، مرخي الكتفين، يطالع الأرض بنظراتٍ ساهمه، مشغولًا بالتفكير لدرجة لم ينتبه معها لصوت والدته القادم من المطبخ، تأمره بإتمام واجباته. أغلق الباب على نفسه حال الدخول. خلع عنه ثيابه المتسخة بالتراب، ثم جلس يحدق في المكان أكس من أعلى –حيث النافذة–. "أحمق!" همس لنفسه بحنق. الأن لن يعرف جو ما قصة الرسالة وما كان صاحبها –أو صاحبتها– يقصد بكلماته تلك. "أنها مهزلة". قال ساخرًا من الوضع برمته، وهو يُلقي بجسده على السرير، حيث سقط في النوم بعد ساعاتٍ من اللاشيء.

* * * *

.2.

في الصباح، أستيقظ جو ليجد الساعة قد شارفت على التاسعة. كيف لوالدته ألاّ تُيقظه قبل موعد المدرسة؟ كان غاضبًا، وهو يرتدي ثيابه، فبعد خيبة الأمس، لم يعد بحاجة إلى محاضرات والده عن أهمية مستقبله الذي يُضيعه بإهماله. حسنًا، لقد كان الرد جاهزًا على السؤال الذي سيسأل عن هوية المسؤول عن هذه الكارثة؟ "أمي". فكر، وهو يُكمل ارتداء سرواله. فوالدته هي المسؤوله الأولى—والوحيدة– عن إيقاظه واصطحابه إلى المدرسة. أمسك مقبض الباب يحاول فتحه، ليجده مغلقًا، مما استدعاه للبحث عن مفتاحه، الذي ولا بد قد وضعه في مكانٍ ما بالأمس. متساءلًا عن السبب الذي قد يدفع والديه لإهمال وجوده طوال تلك الفترة، دون أن يخوضا غمار طرق باب غرفته كالعادة. ثم تذكر وهو يدير المفتاح، أنّ والده قد وعد والدته بالعودة مبكرًا، مما يعطي سببًا وجيهًا لانشغالهما.

كان المنزل هادئًا، كأن الجميع قد غادره. "لا يمكن أن تكون قد غادرت بدوني. لعلها ما زالت مستغرقه في النوم بعد ليلة الأمس". فكر، راسمًا على وجهه نصف ابتسامة.

تقدم نحو غرفة نومهما، وقام بطرق بابها برفق، رغم كونه مواربًا، ثم أقدم على فتحه حينما لم يسمع إجابة. كان والديه ما زالا في سريرهما، مما زاد من غضبه ودفعه للصراخ في محاولة منه لإيقاظهما –أو إفزاعهما–، معاتبًا والدته على وقت المدرسة الذي ضيعته باستغراقها في النوم، وهو يتقدم نحوهما.

وما أن أقترب منهما، حتى أمسك بطرف اللحاف يزيحه بعيدًا، ليخرسه هول ما رآه لبرهة، قبل أن تُنتزع من أحباله الصوتية صرخة مدويه، تثير الفزع والحيرة.

* * * *

عناصر الشرطة تملئ المكان، بحثًا عن الأدلة أو شيء يوصلهم بالقاتل. كان جو في حالة صدمة كبيره، حيث ظل هادئًا صامتًا لدرجة لا يمكن معها انتزاع كلمة تُفيد أو حتى اعتراف. ونظرًا للحالة التي أصابته فور مشاهدته للجثث التي تُنقل إلى سيارة الإسعاف، من بكاء هستيري يصاحبه صراخ بكلمات غير مفهومه، تم نقله إلى مركز الشرطة.

تم الأتصال بعدها بخالته جودي، في تكساس وإعلامها بما حدث، لتصل بعد عدة ساعات إلى المنزل، لا تصدق ما جرى لأختها الوحيدة كايتي. استقبلها الضابط جاك، المسئول عن التحقيق، يشرح لها ما حدث بالضبط وكيف وجد الجثتين: "لقد تم ذبحهما

وهما نائمين. هذا كل ما نعرفه. لم نصل للجاني بعد أو للسبب الذي يدعو إلى ذلك. الغريب في الأمر أنّ القاتل لم يمس جو بسوء".

"إلى ماذا تلمح أيها الضابط؟" سألته بانزعاج.

"لا أقصد شيئًا، كل ما أريد قوله أنّ الصبي كان في حالة صدمة شديدة، لم نستطع معها معرفة ما حدث بالضبط. كما تعلمين، فهو الناجي الوحيد هنا. أي أنه قد يصبح بين ليلةٍ وضحاها المشتبه به الأول في هذه الجريمة".

"أرجوك لا تقل ذلك. جو ولد جيد ولا يمكنه فعل شيء فظيع كهذا".

"إذن، عليه إخبارنا بما حدث تلك الليلة. سأتركك معه لبضع دقائق لفهم ما جرى".

تبعت جودي الضابط إلى حيث كان جو منكفئًا على نفسه، بينما تحاول إحدى ضابطات مكتب التحقيقات تبادل أطراف الحديث معه. نادته ما أن رآته، ليركض نحوها كطفل صغير وجد أمه بعد ساعاتٍ من الضياع. "خالتي جودي". سارع باحتضانها. "هل علمتي بما حدث لأمي وأبي؟" أكمل باكيًا.

"هذا بالضبط ما نريد معرفته يا جو؟ ماذا حدث تلك الليلة؟" قاطعه الضابط.

أشارت له جودي بلطف أن يتركهما معًا لبعض الوقت، فأومأ لها موافقًا، قبل أن يشير للضابطه أن تتبعه. بمجرد مغادرتهما، جذبت جو من ذراعه، ليجلسا على المقاعد بعيدة قليلًا: "جو.. هل أنت بخير؟"

طالعها بعينان حزينتان: "نعم".

أمسكت يده برفق: "أخبرني يا جو، ما الذي حدث بالضبط؟"

اخبرها الصبي بكل ما يعرفه–كما يظن–. استيقظ متأخرًا صباحًا ليجد سرير والديه مكتسي بلون دمائهما بعدما قطعت اعناقهما. سرت رعشة في جسده، حين تذكر هيئتهما التي وجدهما عليها.

"وأين كنت ليلتها؟"

"كنت بغرفتي، لقد نمت مبكرًا على ما يبدو".

"حسنًا جو، أريدك أن تخبر الضابط بكل ما تعرف،كما تعلم أنهم الآن يحاولون القبض على القاتل". هز رأسه مطيعًا، لتسأله على حين غرة: "هل تشك في أحدهم يا صغيري؟"

* * * *

بالطبع لم يصدق أحد قصته عن العلبة المعدنية والرسالة التي أحتوت تذكيرًا للتخلص من أحدهم. الكل عاز الأمر للصدمة التي لا تناسب

عمره، على حد قول الأخصائية النفسية بالمركز، حيث أخبرت خالته بأنه يحاول الهرب من الحادثة بخلق أحداث أخرى، لينخرط عقله فيها. إلا أن جو كان له رأيًا آخر، حيث أصر على أن صاحب الرسالة هو القاتل. في حين كان الضابط حائرًا ما بين اعتقاده بأن جو يختلق هذا الحديث لمجرد أنه يعاني من صدمة أو أنها حقًا حيلة ذكية لتضليل العداله عن كونه القاتل الحقيقي لوالديه، فلم تكن هذه القضية الوحيدة من نوعها في هذا الشأن. في النهاية فضل أن تكشف التحقيقات حقيقة الأمر، بعد أن أعطى أمرًا للخالة بالبقاء معه حتى ينتهي مكتب التحقيقات من هذه القضية.

"لكن ماذا عن دراستي؟ أنا طالبة جامعية ولا يمكنني البقاء هنا كثيرًا".

"وماذا سيحل بجو؟" سألها الضابط.

"سينتقل جو للعيش مع والدتي في تكساس. متمنية ألّا تؤثر هذه الأزمة طويلًا على حياته القادمة. سأحاول عرض المنزل للبيع، ليتسنى له نسيان كل شيء".

"لا يمكنك بيع المنزل حتى ننتهي من التحقيقات. كما أني أصدقك القول في صعوبة بيع منزل قد حدثت بداخله جريمة قتل".

"الناس ستنسى مع الوقت. كما أني لست في عجلةٍ من أمري. سأكتفي بعرض المنزل للبيع الآن".

غادرت جودي برفقة ابن اختها بعدها إلى المنزل، بغية جمع اغراضه للانتقال معها إلى بروكلين، ولتهيئة المنزل للبيع، بعد التخلص من الأغراض الغير ضرورية.

"كم سنبقى هناك؟" سألها في الطريق.

"أسبوع فقط".

"أنتِ تصدقينني خالة جودي، أليس كذلك؟"

"بالطبع عزيزي فأنت لست بقاتل!".

"أقصد.. تصدقين قصة الرسالة؟!"

ما كان لجودي إلا أن تصمت، فلا يمكنها تأكيد شيء من المستحيل تصديقه. قاتل يعود بعد عشرة أعوام ليقتل اشخاصًا لا يعرفهم، لمجرد أنه أوصى نفسه في رسالة كتبها قبل ذلك. كما أنه يوصي قارئها بالهروب، "ياله من عطوف".فكرت ساخرة.

* * * *

عند وصولهم المنزل، كان باب الكراج مفتوحًا، فعازت الخالة ذلك لنسيانها إغلاقه مع كل ما يحدث، على الرغم من أنها تولي هذه الأمور عناية شديدة. تركها جو تصف السيارة، وسبقها إلى الداخل، لكنه تذكر حال وقوفه بالباب أنه ما عاد يملك مفاتيحه،فلم يجد بُدًا من انتظار خالته. أثناء ذلك، لم يستطع منع نفسه من النظر إلى البقعة، حيث مكان العلبة الذي على ما يبدو قد سوي بالأرض. أفاق من شروده على صوت الخالة تطلب منه الدخول، ليعود بنظره إلى مدخل البيت الذي أصبح خالٍ الآن من والديه.

"يمكنني أن أُعد لك بعض الطعام، لا بد أنك جائع". قالت في طريقها للمطبخ.

"ليس تمامًا".

عادت تلتفت نحوه: "هيا يا جو، لا تصعب الأمر عليّ أكثر". ثم ابتسمت بلطف: "كما أني جائعة وبحاجه لمن يشاركني الطعام". لكزته بمرفقها مازحة:"هيا الآن أصعد لتغيير ثيابك، دقائق حتى تتذوق أفضل طبق معكرونة بالجبن".

ابتسم، أومأ برأسه، ثم أرتقى الدرج لأعلى. كان من الصعب عليه أن يمر بغرفة والديه، دون أن يمنع نفسه من القاء نظرةٍ عليها. كان المحققين قد وضعوا شريطًا أصفر على الباب، يمنع المتطفلين من الدخول. في حين كانت الأشياء مبعثرة على الأرض هنا وهناك، من

آثار البحث والتقصي. خالف جو إشارة المنع بدخوله، فلن يوقفه شريط لاصق في النهاية عن دخول غرفتهما. ومضت الصور كالضوء في عينيه، مستعيدًا منظر والديه القتيلين.

"جو". ألتفت خلفه حيث صوت والدته تناديه، لكن لا أحد. تمنى لو أن هذا الكابوس يحصل على نهاية. سرى في جسده إحساس بارد كالثلج، حين تذكر أن لقاء الأمس كان أخر لقاء له مع عائلته.

"لا أحد يصدقني يا أمي. لكني لن أتوقف. سأجد صاحب الرسالة، سأجد قاتلكما".

* * * *

.3.

كان التفكير المنطقي الذي حظي به جو، أنّ القاتل لا بد وأنه قد عاش في هذا المنزل من قبل. وإلا لما اختار هذا المنزل بالذات؟ ووفقًا لتلك الرسالة، فإن ذلك قد حدث قبل عشر سنواتٍ من الآن، لذا كان من المتوقع أن يقوم بالبحث عن أسم المالك وقتها. نهض من سريره، يجذب حاسوبه الملقى أسفل قدميه، ليُجري بحثًا سريعًا على شبكة الإنترنت، على أمل أن يوصله ذلك لشيءٍ ما. فكر دقيقة في الكلمة المناسبة للبحث "البيت في المقاطعة السابعة... أسم مالكي المنزل في المقاطعة السابعة... أسماء المُلاك في المقاطعة السابعة منذ عشر سنوات".

لا بد أنّ البحث كان سيجدي نفعًا لو إستخدم كلمات من الحاضر، فلربما كان من شأنها أن تُفضي إلى المستقبل. كما الآن وهو يبحث عن الصحف التي تناولت خبر مقتل والديه، حيث صُيغ الخبر على أنها ليست جريمة قتل عادية. لقد شهد المنزل ذاته من قبل جريمة قتل، منذ ما لا يقل عن عشر سنوات.

هنا توقف جو قليلًا متفاجأً: "جريمة قتل.. هنا".

ضغط بأصابعه كلمات تبحث عما تم كتابته عن جريمة القتل السابقة. ليجد صورة عائلية لرجل وامرأة يتوسطهما ولد في الثامنة عشر من العمر وفتاة في العاشرة، يعلوها خبر مذبحة لم ينجو منها إلا الطفل الأكبر للعائلة. فرك عينيه غير مصدق، أن الزمن يُعيد نفسه لكن بطريقة... "أذًا، لا بد أن الولد هو القاتل. قتل عائلته وها هو الآن قد عاد ليُعيد تمثيل جريمته". هذا أخر ما استنتجه جو، الذي أسرع يخبر خالته بما وصل إليه.

"لا بد أن تلك الرسالة تخصه. هل صدقتني الآن؟"

"لا بد من اطلاع المحقق على ما وصلت إليه. الأمر الآن قد تعدى الطبيعي وعلينا أن نكون حذرين فقد يعود للإجهاز على ما تبقى من العائلة. لا أصدق! عندما جائتني والدتك لتخبرني بالثمن الذي دفعه والدك لشراء المنزل، ظننت بأنها تمزح. الآن أفهم لماذا حصل عليه بهذا السعر الزهيد، يا إلهي!".

طلبت الخالة من الصبي الانتظار، وغدت تبحث عن بطاقة عمل المحقق، الذي اعطاها إياه قبل مغادرتها المركز. بحثت في الحقيبة، وفي جيوب بنطالها، لكن بلا فائدة، فاتجهت للبحث في السيارة، علّها قد نسيتها هناك، رغم عدم امكانية حدوث ذلك.

كانت عينا جو معلقه بالكلمات المكتوبة في المقالة، يقرأها بصمت في انتظار عودتها.

رانيا حجاج

"جو". تهادى إلى مسامعه صوتٌ يناديه. التفت خلفه من فوره، ليجد والدته تُشير له بخوف: "أهرب".

فزع جو، وأنتفض للخلف: "أمي". لتختفي، كدخان السجائر حال نفخه. هرعت الخالة حال عودتها ورؤيته على ذلك النحو المرعب إليه تسأله: "ماذا بك يا جو؟"

"أنها أمي.. لقد رأيت.. لقد رأيت أمي".

وضعت جودي يدها على مقدمة رأسها: "جو، لا أعتقد بأن بقائنا هنا فكرة جيدة".

"لماذا؟ علينا البحث عن قاتل والديّ".

"إن البحث عمل الشرطة فقط. كما أن بقائنا هنا ليس له أثر جيد عليك".

"خالتي صدقيني، لقد رأيت أمي. ليست أحلامًا أو تهيؤات، كما تعتقدين".

"تشعرني بالخوف عليك أكثر يا جو".

لم يحاول حتى بكلمة كاذبة طمئنتها، فقط تجاهل الموضوع وغير الحديث بسؤالها عن رقم المحقق. أشارت له بالبطاقة في يدها: "هيا بنا،لنتصل به. أرجوك يا جو، لا تخبره عن.. تعرف.. ما أخبرتني إياه

للتو". ما كان منه أمام إصرارها إلا أن يُقسم لها ألا يفعل، ومشاعر الخيبة التي أصابته من عدم تصديقها إياه، تنكزه.

بعد انتهاء تلك المكالمة، التي وعدها فيها المحقق بالبحث عن بعض المعلومات التي تخص القضية السابقة. تناولا طعام العشاء، وذهبا للنوم.

* * * *

أفاقت جودي على صوت تكسير آنية زهرية. كان الصوت قريبًا، فخمنت أن تكون الزهرية الموضوعه بجانب الدرج على طاولة صغيرة. تعرفها جيدًا، لأنها من اهدتها لأختها قبل انتقالهم بمناسبة شرائهم للمنزل الجديد.

أرتدت روب النوم، ثم تسللت خارج غرفة الضيوف –التي أقامت فيها منذ مجيئها– بالطابق الأسفل إلى الصالة أمامها، منها إلى الدرج، حيث وجدت المزهرية محطمة. تساءلت في البداية عن سبب تحطمها بهذا الشكل، ثم تذكرت جو الذي لم يُبدي أي ردة فعل مع صوت الكسر. فغذت الخطى نحو غرفته، تفتح بابها في عجلةٍ من أمرها لتجده غاطًا في النوم. تنهدت ارتياحًا، ثم أغلقت الباب بهدوء: "لا بد أنه متعب".

وقبل أن تخطو بقدمها خطوة واحدة للأسفل، لمحت اختفاء الشريط اللاصق الموضوع على باب غرفة أختها، من قِبل المحققين. في البداية شكت في أن جو من أزاله، ربما لما يثيره بداخله من اضطراب، بتذكر ما حدث. كادت أن لا تلقي للأمر اهتمامًا، لولا أنها وجدت الباب مفتوحًا على اتساعه، وطيف أحدهم منعكس على أرضية الغرفة، من أثر ضوء قادم من النافذة –على ما يبدو–. فكرت في أنه لربما القاتل، لا بد أنه قد قرر العودة أخيرًا ليكمل ما بدأه. أصابها اضطراب وذعر شديدان، ماذا عليها أن تفعل الآن؟ وليس بيدها ما يمكنها به حماية نفسها أو جو. كان عليها فعل شيء، لكنها لم تعرف ماهيته!

جالت بعينيها في المكان بسرعه، بحثًا عما يمكن استخدامه للأيقاع بالقاتل. لتتبدى لها حقيبة طويلة نوعًا ما، ملقاه على الأرض بجانب الخزانة، تحمل بداخلها عصيّ الغولف، الذي أعتاد ماك –زوج أختها– ممارسته بين الحين والآخر. "ما الذي أتى بها إلى هنا؟!" فكرت. خطت بهدوء نحوها، ثم عجلت بجذب أحدها، وتوجهت إلى الغرفة دون إحداث أي ضجة، لتفاجأه.

اندفعت إلى الداخل بقوة، كرجال الشرطة حينما يداهمون أحد المنازل، ولوحت بعصى الغولف يمينًا ويسارًا، في الظلام الذي كسى الغرفة فجأة، وهي تصرخ سأقتلك.. سأقتلك. أُنير ضوء المصباح الموضوع بجانب السرير، وأزاح ماك الغطاء، يسألها عما يحدث؟ وعن

سبب صراخها؟ بينما تطالعها أختها مستغربة بجانبه: "ماذا هناك يا جودي؟". تراجعت جودي للخلف فزعة، لتتعثر بشيءٍ ما بدا كحذاء، مما أبطئ من حركتها لثواني، قبل أن تُطلق قدميها للرياح وهي تصرخ: "لا..لا..لا".

* * * *

أفاقت جودي، لتجد نفسها على الأريكة بالأسفل، وبجانبها جو خائفًا يسألها عما اصابها؟ انتصبت من فورها، واضعة يدها على فمها، ثم عجلت الخطى للأعلى وسط صيحات الصبي لها. الباب مغلق، والشريط اللاصق في مكانه، وكل شيء يبدو على هيئته. حتى حقيبة عصيّ الغولف، لم تكن موجودة حيث رأتها سابقًا، وكأنها كانت سرابًا.

"لا يمكن، هل كنت أحلم؟" تذكرت المزهرية، فعادت لتفحصها بالأسفل، لتجد قطعها متناثرة على الأرض. "كيف؟" تمتمت في تعجب. وهي تقف في منتصف السلم، تشير بيد إلى أعلى وأخرى إلى المزهرية بالأسفل. لا بد أن منظر المزهرية المكسورة قد اعطاها انطباعًا بصدق ما رأت، لكن كيف لأنصاف الحقائق أن تصنع قصة كاملة يمكن تصديقها. "إن كان ذلك كذبًا، لماذا لم أستيقظ على صوت تحطمها؟" فكرت.

عادت لواقعها، على صوت جو يسألها:" هل أنتِ بخير خالة جودي؟" تمعنت في عينيه المضطربه، وتساءلت إن كان عليها إخباره بما حدث، أم اعتباره كابوسًا سيئًا وينتهي الأمر؟ قاطع تفكيرها صوت الساعة تدق معلنةً وصول مؤشريها إلى ما بعد منتصف الليل. "إنها الساعه الواحدة". تمتمت مرة أخرى. "جو، هل سمعت صوت المزهرية يُكسر؟" سألته على أمل أن يُنصفها.

"في الحقيقة لم أسمع إلا صوت صراخك أنتِ".

"هل كان عاليًا لهذه الدرجة؟"

"نعم.. بدا وكأنه كان بالقرب مني؟"

"أوه". قالت. ثم أشارت للموضوع على أنه مجرد أضغاث أحلام، وأمرته بالعودة إلى النوم مجددًا.

"لا أعتقد بأني سأستطيع النوم الليلة بعدما حدث". همس لنفسه، وهو يرتقي الدرج لأعلى، وسط الحيرة التي أصابت خالته على حين غرة.

في الغرفة، كان الحاسوب مفتوحًا على أخر خبر يخص مقتل تلك العائلة، تقول التحقيقات أن الأم والأب قد ذُبحا في سريرهما، بينما لم يجدوا أي أثر للفتاة الصغيرة، رغم وجود أثر للدماء على سريرها. وأن الصبي الوحيد الذي يُدعى ستيف، كان مستغرقًا في النوم ليلتها،

للدرجة التي لم يشعر معها بشيء أو يسمع صوت صراخ عائلته. الولد فوجئ بالأمر صبيحة اليوم التالي. "مثلي بالضبط". فكر. "لكن يا ترى ماذا حدث للفتاة الصغيرة؟" سأل نفسه. أكمل قراءة المقالة التي عدت اختفاء جثتها، إلى القاتل الذي ولا بد أنه قد نقلها إلى مكانٍ آخر، ليصبح المسوغ لهذا العمل مجهولًا.

أغلق صفحة الموقع، ليفاجأ بكلماتٍ برزت أمامه في ملف وورد مفتوح: "ألم أقل لك.. أهرب". لقد تعدى الأمر حيز الجنون منذ وجد تلك الرسالة، يعترف بذلك. فأما أن يتصدى له أو أن يهرب. وجد أصابعه دون أدنى شعور بالخوف،تطبع جملة واحدة بأسفل السابقة ردًا عليها: "لن أفعل".

* * * *

.4.

في الصباح أعدت جودي طعام الفطور، بعينين تدلّان على عدم مساس النوم لهما، قبل ذهابها إلى مدرسة الصبي لطلب ملفه بغية نقله إلى مدرسته القديمة. كان عليها الالتقاء بالمدير بادئ الأمر؛ لتشرح له الأسباب التي تستدعي انتقاله. لذا طلبت من جو عدم مغادرة المنزل حتى عودتها، مشدده على عدم القيام بأي عمل جنوني قد يُعقد الأمور أكثر. تظاهر بموافقتها، حتى غادرت سيارتها المكان.

عندما عاد للداخل، كان في انتظاره رسالة صوتية من المحقق، يسرد فيها ما توصل إليه جو بنفسه. لم يسترعي انتباهه إلا نهايتها:

"... أنا الآن أحاول الوصول لستيف، الشاب في القضية السابقة. لقد ترك عمله منذ شهر تقريبًا، كما لم يقم بدفع إيجار شقته لثلاثة أشهر، مما دفع بصاحبتها إلى إعادة تأجيرها. باختصار لا أحد يعرف طريقه. نحاول الآن تتبع بطاقته الإئتمانية، على أمل الوصول له. أرجوكِ حرصًا على سلامتك وجو، عدم الإقدام على أي فعل، أو الوثوق بأيًا كان. تحياتي، جاك".

الآن يعرف بأن كل ما حدث سابقًا كان مخططًا له، لا بد وأنه كذلك، فلا تفسير منطقي لكل ما يحدث. إنه سوء حظهم، الذي دفعهم

لشراء هذا المنزل في هذا التوقيت السيء. لماذا لم يتأخرا قليلًا في اتخاذ قرارهما أو تراجعا عنه؟ فكر مستاءً. ما حدث ليلة الأمس لخالته جودي، أثار قلقة أكثر، من أن يكون القاتل يمضي متجولًا في الأماكن القريبة من المنزل، أو أنه قد استطاع إيجاد طريقه للدخول إليه، إن لم يكن يعرف مسبقًا ذلك نظرًا للسنوات التي قضاها هنا.

قرر استطلاع المكان واكتشافه تحسبًا لما هو قادم، فقد يسبق القاتل بخطوة، إن اكتشف ما يمكن أن يساعده على الإيقاع به. كانت الخطوة الأولى هي التعرف على المنزل، ثم التعرف على ماضي القاتل نفسه.

جال جو الغرف، وبحث في كل الأماكن المحتمله. فتح كل الأبواب متحريًا عن أسهل طريقة للدخول والخروج من المنزل دون أن يلاحظه أحد. فقط القبو كان مغلقًا بقفل كبير، لم يقدر على فتحه، فتجاهله حتى عودة خالته. لم يكتشف شيئًا مهمًا في النهاية، حيث بدت الأمور طبيعية لشخصٍ مثله. فما كان منه إلا العودة إلى حاسوبه، حيث أجرى بحثًا سريعًا على اسم ستيف مذيلًا بلقب عائلته ماهلوني.

كان الولد من محبي لعبة الغولف، العزف على آلة الكمان، كما أن نتائجه بالمدرسة كانت ممتازة. حصل على وسام التميز في ركوب الخيل، وميدالية فضية في السباحة.

"لقد كان هذا الولد أسطورة". نطقها إعجابًا، حتى تبين سخافة ما يفعل. "أعجب بقاتل والديّ، هه. مقزز".

بعد وقوع الجريمة، توقفت اخباره، وكأنه أختفى من على وجه الأرض، حسب أخر مقالة قرأها عنه فإن ستيف قد انتقل للعيش مع جدته من الأم في أرزونا، بعدما رفض أفراد عائلة والده تبنيه، خوفًا من أن يكون هو القاتل الحقيقي.

"من السيء أن تتحول حياة المرء من هانئة مستقرة إلى سيئة بكل المقاييس". حدّث نفسه بصوتٍ خفيض، وهو يُعد لنفسه سندويتش زبدة فول سوداني بالمربى.

"أليس ذلك صحيحًا؟!"

رفع جو رأسه، لتقع عينيه على شاب بدا في العشرينات من العمر، يقف أمامه مرتديًا جاكت من الجلد الأسود، وبنطال من الجينز الأزرق. بعينان مرهقتان، ووجهٍ قد سُرقت الروح منه، ولحية خفيفة لم يمر على حلاقتها أكثر من أسبوع. قبض جو على سكينه المغطى بزبدة الفول السوداني، يلوحها أمام ضيفه الغير مرغوب به، يهدده بالقتل في حال فكر في الاقتراب منه.

"لم تفهم رسالتي.." نظر للأعلى كالمستغرق في التفكير بشيءٍ ما "..من المرة الأولى". حدجه بنظرة غاضبة، صارخًا فيه.

"عن أي رساله تتحدث؟" جو وهو ما زال ممسكًا بسكينه البائسة.

"لا بد أنك أحمق! أنت لا تعي ما أنت مُقدمٌ عليه، أليس كذلك؟"

"أنت ستيف!" فاجأه بملاحظته المتأخرة، التي أثارت اضطرابه وجعلت من هروبه أكثر سهولة، خاصةً بعد سماع صوت المحرك يُطفئ في الكراج.

تسمر جو بالمطبخ، ويده متصلبه، وكأنها قد التصقت بالسكين. تفاجأت جودي لرؤيته على هذا النحو، يقف هناك مذعورًا كمن رأى شبحًا أمامه:

"ماذا بك يا جو؟" هزته للاطمئنان عليه.

"لقد كان هنا". همس لها.

* * * *

في الخارج كانت دورية الشرطة مرابطة بجانب باب المنزل لحراستهم، في حين يودعهم المحقق جاك، الذي أتى مسرعًا بعد أتصال جودي المفاجئ به. بدا القاتل الآن معروفًا لدى الشرطة، التي نشرت رسمًا بالملامح التي وصفها لهم جو. لكن فكرة البقاء في المنزل بدت أكثر خطورة من ذي قبل.

"لا أستطيع المغادرة الآن، فالسمسار سيأتي غدًا لمعاينة المنزل ليتسنى له عرضه للبيع. كما أني لم أحصل اليوم على ملف جو المدرسي بعدّ. عليّ الانتظار حتى نهاية هذا الأسبوع على الأقل، لانهاء جميع المواضيع العالقة".

"أرجوكِ لا تترددي في الاتصال بي في حال حدوث شيء جديد". قال جاك مودعًا أياها على عتبة المنزل.

أغلقت جودي الباب تباعًا، ثم عادت لجو الحائر بين ما رآه اليوم وما تخيله. لم يظن للحظة بأن ستيف قد تحول إلى هذا الكائن البائس بعد كل تلك السنوات، ربما ظنه سيكون أكثر تماسكًا وقوة، بالنسبة لولد عُرف بذكائه سابقًا. شاركته الجلوس؛ لتطلعه على طلب المحقق جاك منها بتغيير جميع أقفال المنزل. حينها تذكر قفل القبو الكبير:

"خالة، هل لديكِ مفتاح لقفل القبو؟"

"لا أذكر حقًا وجود مفتاح". استقامت، وتوجهت نحو علاقة المفاتيح بجانب الباب، ثم عادت تحمل سلسلتي مفاتيح والديه. مدت له أحدهما: "خذ جرب هذه".

توجها سويًا نحو باب القبو، يجربان كل المفاتيح التي بحوزتهما، بيدّ أن لا أحد منهم أدى المهمة.

"مؤكد أن هناك مفتاح آخر أجهله في مكانٍ ما. فكر معي، أين يمكن لوالدك وضع مفتاح كهذا؟"

"أبي لا يهتم بأمر كهذا. في الغالب سيطلب من أمي الاهتمام به".

"حسنًا أين يمكن لكايتي –أختها– أن تخبئ مفتاحًا كهذا؟ ولماذا لم تضعه مع بقية المفاتيح؟"

"ربما لأن لا وجود لمفتاحٍ أصلًا". قال جو ساخرًا، في حين بدت الفكرة لجودي عقلانيه، فهما لم ينتقلا إلى المنزل إلا منذ بضعة أيام، وقد يكونا قد أعتقدا بأن مفتاح القبو قد ضاع منهما، وتناسيا الأمر لمّا كانا ينويان استبداله كبقية المفاتيـ..ح.

"جو، هل غير والداك مفاتيح المنزل فور إقامتهما؟"

"نعم". أسرع يجيبها، ثم تراجع بعدها: "لا أدري.. لست متأكدًا. فقد كنت أقضي أغلب الوقت بغرفتي أتذمر، فلربما قد فعلوا ذلك أثناء وجودي بالمدرسة. من يدري؟"

تفحصت جودي المفاتيح قليلًا، قبل أن تُدرك أنها ليست بالجديدة. فإما أن كايتي كانت ستغيرها، أو أنها انشغلت عن التفكير في تغييرها، لكن كيف وبماذا؟ "

"حسنًا لقد كانت الأوضاع متوترة بعض الشيء مع أمي في الفترة الأخيرة. ربما نسيت فعل ذلك".

"ماذا تقصد بمتوترة؟"

"لا تتحدث كثيرًا، تسهم أكثر. عمل والدي الدائم وتأخره كان يشغلها. لم تكن تنام جيدًا، كنت أرى ذلك في عينيها كل صباح. تبدو كمن تقطع نومه طوال الليل، فلم يحظى بلحظة هانئة. كثيرًا ما كنت أسمعها تتهامس مع والدي، الذي ينهي حديثه بعدم جديته في الانتقال من هنا. كانا يتوقفان عن الحديث في كل مرة يرياني فيها، أو على الأقل أمي، التي كثر همسها مؤخرًا".

"هل تعتقد بأن كايتي أقصد والدتك كانت متضايقه من المنزل؟"

"ربما من المنزل أو من الانتقال إلى هنا. حتى أنا كنت متضايق، لكن ليس لتلك الدرجة".

"لماذا لم تخبر والديك بأمر الرسالة؟" طرأ لها أن تسأله.

"تعرفين! أبي لن يصدقني،بل قد يتهمني أيضًا بافتعال ذلك، لأني أكره العيش هنا".

هزت رأسها تفهمًا، وهي تفكر فيما أصاب أختها كايتي في تلك الفترة. وما فتأت تلوم نفسها على انقطاعها عن الاتصال بها،

لانشغالها الدائم بالدراسة، وها هي تكتشف بأن أختها كانت أكثر الناس حاجةً إليها.

"هل سيعود ستيف إلى هنا مرة أخرى؟"

"ستيف!"

* * * *

.5.

بدا لهما أنّ كسر القفل فكرةً سديدة، فبحثا في الكراج عن أداة تُتمم فعل ذلك. حاولا في البداية كسره بمطرقة، لكنهما فشلا في ذلك. حاولا بعدها تجريب عدة أدوات، لكن شيئًا لم يحدث. لم ينتج عن تلك الخبطات أي كسر أو شرخ للقفل، وكأنه محاط بقوة سحرية تحميه. "سأطلب عامل الأقفال غدًا. مؤكد أن لديه طريقة لفتحه أو كسره".حدثته جودي، وهي تُلقي نظرة على موضع المفتاح في القفل، والذي لغرابته لم يكن يحمل مكانًا لوضعه.

"غريب!".

"ماذا هناك؟"

"انظر بنفسك!"

حدق جو في القفل جيدًا، ثم أخذ يُقلبه في كل اتجاه. إما أنه لا يفهم في الأقفال شيئًا أو أن هذا القفل غير حقيقي. "لا بد أن هناك سرًا في الأمر". همس لنفسه.

"لا أعتقد أن وجودنا هنا فكرة سديدة يا جو. القبو.. القفل.. لا ندري ماذا بعد؟"

"لكن خالتي جودي، الشرطة بالخارج تحرس المنزل، أي أن بمجرد سماعهم لصراخنا سيهبون لنجدتنا. هنا أكثر أمنًا من المبيت في فندق، حيث لا شرطة لحمايتنا".

أطرقت جودي رأسها تفكر، ثم استسلمت لفكرة البقاء، رغم الإحساس الذي يجتاحها بعدم فعل ذلك. أنه شعورٌ غريب، كلقاء غريب لا تشعر بالارتياح نحوه. "حسنًا جو، أذهب الآن إلى غرفتك ولا تفكر بأي شيء".

"هل ستنامين الليلة على الأريكة كالبارحة؟ أقصد يمكنكِ النوم بغرفتي".

داعبت رأسه مازحه: "لم أكن نائمة على الأريكة. فأنا أنام في غرفة الضيوف".

ضحك جو، وهو يرتقي السلم: "نعم، غرفة الضيوف!"

ولدٌ غريب، همست جودي وهي تقطع البهو إلى الغرفة. كانت متعبة وترغب بشدة في النوم، إلا أن القلق صار يلازمها أكثر من اللازم هذه الفترة. ففي العادة يصيبها هذا الشعور قبيل امتحانات الجامعة، ليحرمها النوم، لتقضي معه ساعات تحاول استذكار ما تحفظه عن ظهر قلب. جلست على حافة السرير، تنفض جميع الأفكار التي قد تؤدي بها إلى الجنون، ثم استنشقت بعض الهواء قبل أن تسمح

له بالخروج منها، حاملًا كل ما يمكن له أن يقلقها. ثم أغمضت عينيها وألقت بجسدها على السرير.

في الغرفة بالأعلى، ظل جو مستيقظًا يفكر في قطع الأحجية التي أمامه. "هناك شيء ناقص". قال حائرًا. كان القبو بالنسبة له هو المفتاح لمعرفة ما هو غائبٌ عنه. لكنه مغلق بقفل لا مفتاح له، ليحافظ عليه محميًا. لكن من ماذا؟ ما الذي يستحق الحماية داخل القبو؟

"أنت أحمق يا جو. ستتسبب في أذيتك. لقد حذرتك يا فتى..".

تهادى إلى مسمعه صوت ستيف، فانتفض كمن رأى ما يدعوه للخوف. مهددًا بسيارة الشرطة القابعة أسفل منزلهم بالخارج، وبأنه إن لم يغادر فسيصرخ طلبًا لمساعدتهم. أخرج ستيف من جيبه، دون أن يُبدي اهتمامًا بحديثه، سكين. أخذ يقذفها في الهواء ثم يُسرع بالإمساك بها، في محاولةٍ منه لإشعار جو بالخوف. "لو أنك تصمت لبرهة، لفهمت كل شيء. لكنك كثير الكلام. أنت أحمق صغير يا جو".

"لماذا قتلت والديّ؟" صرخ.

هز ستيف رأسه يمينًا ويسارًا : "مسكين، لا زلت لم تفهم اللعبة".

"لعبة! إن أردت قتلي فبادر بذلك، لم تعد الحياة بتلك الأهمية على أية حال".

ران الصمت لفترة قصيرة، ليتبعه صوت قهقهة ستيف الأخذ في العلو، حتى انتهى بصرخة.

* * * *

أفاق فزعًا، يتحسس جسده ويلقي نظره عليه: "ما زلت حيًّا". همس. كان حلمًا، هذا ما فكر به، بعدما ترك كرسي مكتبه عائدًا إلى سريره. طمئن نفسه أولًا لوجود الشرطة، بعد رؤيته للضابطين من النافذة، ثم طالع الباب بوجل فوجده مغلقًا كما هو. التوتر والخوف سيقتلانه، إن لم يكن اليوم ففي الغد. ربما كانت خالته جودي على حق، ربما كان من الأفضل له ترك المنزل بما يحمله من كوابيس وألغاز. القبض على القاتل من اختصاص الشرطة، وهو الآن معروف، فلماذا الإصرار على البقاء الآن؟ في النهاية اتخذ قرارًا بإطلاع خالته في الصباح على رغبته تلك. ليتراجع عن فكرة انتظار الغد: "لماذا لا أخبرها الآن؟"

* * * *

في الطابق الأسفل، كانت جودي مستغرقة في النوم على عكس ما توقعته. لم تُيقظها إلا هزات كف صغيرة تحركها "جودي.. جودي

استيقظي". أزاحت ذراعه بعيدًا عنها، دون أن تُلزم عيناها بفتحهما: "ليس الآن يا جو. ألا ترى أني نائمة؟" تعود الهزات مرة أخرى في إصرار هذه المرة على إيقاظها، لتستلم لأمر أنها ستفقد أفضل نوم قد حظيت به مذ جاءت إلى هنا. أجبرت هذه المرة عينيها على إزالة الستائر عنها، لتعكس لها فراغًا لا يوحي بوجود أحد. "أنت تمزح!" قالت مستاءة، ثم عادت تغلقهما من جديد. لكن الهزات ما فتأت أن تعود، تحركها هذه المرة بقوة أكبر. مما اغضبها، وجعلها تنتفض صارخة: "دعني وشأني". لتلتقي عينيها بعينين خاويتين تنظران إليها، بل أربع.. أربع عيون خاوية تنظر إليها، بعد تمحيص.

صرخت جودي عاليًا، لتفاجأ بأن لا صوت يعلو على صوت الهدوء المخيف الموجود بالغرفة، مما أثار فزعها أكثر. أتضحت ملامح العيون قليلًا، لتُبين مالكيها. فتاتان في العاشرة من العمر نفسه، يتطابقان في كل شيء، الملامح، الملابس، والهيكل الجسماني. مالت رأس كلًا منهما إلى الجهة المعاكسة للأخرى، إحداهما تميل جهة اليمين بينما تميل الأخرى جهة اليسار. ما زالتا تطالعانها بعيونهن الخاوية، قبل أن تتهادى بعض أصوات الضحك لأطفالٍ يلعبون.

التفتت بسرعه حولها، تشعر بقبضة الاختناق تكاد تقضي عليها. يد خفية تمتد إليها من بعيد، ورسالة مطويه تتمايل منها.

قطع كل ذلك، ظهور جو المفاجئ، حيث مال كل شيء إلى الاختفاء بعيدًا. لا تعيّ وجودها على الأرض، إلا بعد محاولة ابن اختها مساعدتها على الجلوس على الأريكة المقابلة. تلتف فزعة يمينًا ويسارًا قبل أن يتضح لها، أنها خارج غرفة الضيوف. تكاد كلمات جو لا تصل إلى مسامعها، وقد بدت عيناه الملتتان بالقلق عليها، بائستان.

"ماذا حدث لك؟"

"ما الذي أتى بي إلى هنا؟"

"هل رأيتي كابوسًا؟"

"لا.. أأنا كنت نائمة في غرفة الضيوف.. ثم رأيت..".

"غرفة الضيوف! لكننا لا نملك واحده".

* * * *

أمضت جودي وقتًا تقسم له بأن ما رأته لم يكن حلمًا أو خيالًا. لقد رأت فتاتان شاحبتان تقفان أمامها، كما أنها قضت ليلتها في غرفة الضيوف، التي أصبحت لوهلة ما موجودة في عقلها فقط. وخوفًا من أن يكون كل شيء قد اختار التواجد في عقلها فحسب، راحت تتأكد من أن عربة الشرطة حقيقية، وأن جو وهذا المنزل الغريب

موجود، ولزيادة التأكد من أن الأمر لا يتهيء لها، مضت تقرص ذراعها على نحوٍ متكرر يسترعي الانتباه.

كان كل شيء حقيقيًا عدا ما رأته، مما جعلها تظن أن أحدًا يعبث معها. "قد يكون ستيف ذاك!" قالت، وهي تبحث غاضبة عن أي أداة ثقيلة بنية استخدامها في كسر القفل. لا يظهر ستيف إلا لجو، الذي ود لو يوضح لها ذلك، رغم حاجته هو إلى سبب يجعله متفردًا في ذلك.

ربما يسكن القبو ونحن غافلون عن ذلك، هذا كل ما فكرت به، في طريقها إلى باب القبو. بضع ضربات سريعة، عازمة على الانتهاء من الأمر، الذي لحسن الحظ انتهى بانكساره، أو ربما لنكن أكثر تحديدًافتحه. نعم.. لقد فُتح القفل من تلقاء نفسه، لكنها لم تلحظ ذلك لانشغالها في محاولاتها البائسة.

أزاحت جودي الباب للخلف، ثم أضاءت المصباح بيدها، نزولًا إلى الأسفل. كان الظلام حالكًا في المكان، ومليء بالأتربة، كقبر مومياء لم يتم اكتشافه بعدّ. على اليسار كانت خزانة من المعدن قد نُصبت بشكل جيد جعلها صامدة رغم كل تلك السنوات. اقتربت منه، تفتح بابها ذو القفل المهترئ، لتنطلق منها صرخة فزعة مع اندفاع الفئران منه هربًا. تمسكت بجو، تجول بمصباحها في المكان، الذي اتضح عدم أهليته للسكن، أو لأي شيء.

رانيا حجاج

سبقت الصبي إلى أعلى، تنفض عنها التراب متقززة. ليُصرع الباب فجأة، ويعود القفل إلى إحكامه، محتجزًا جو بداخله. مع ارتفاع صراخه المصاحب لطرقاته العنيفة للباب، كانت خالته جودي تحاول كسر قفلة –أو فتحه– مرة أخرى كما حدث قبل نزولهم، لكن الحظ لم يحالفها هذه المرة. فما كان منها إلا أنها طلبت منه أن يهدئ، حتى تجلب له المساعدة. بيدّ أنّه لم يستطع كبح جماح نفسه، فانخرط في البكاء كطفلٍ صغير استيقظ توًا من كابوسٍ مزعج.

اندفعت جودي نحو الباب؛ لطلب المساعدة من دورية الشرطة المرابطة أمام منزلها، فلم تجدها. هل يمكن أن يكونوا قد تركوهما لمّا اطمأنوا لسلامة الوضع؟ هل انتهت ساعات خدمتهم؟ أين هم؟ فكرت باضطراب، بينما يتهادى إلى مسامعها صوت ابن اختها الخائف يبكي؛ طلبًا للمساعده. لم يكن أمامها في ذلك الوقت غير الاتصال بالمحقق جاك. فأخذت تبحث عن هاتفها في أرجاء المنزل، ثم ضغطت زر الأتصال، ليعطها الهاتف تنبيهًا بعدم وجود إشارة.

"هذا ليس يوم سعدي" ودت لو تقول، وعوضًا عن ذلك أفرجت عن هلعها: "يا إلهي، ماذا يحدث؟ ربما سيصبح لهاتف المنزل فائدة الليلة". قالت، تتجه نحوها وبيدها هاتفها المحمول، على أمل أن يكون سببًا في إنقاذهم، لكنه خذلها ككل شيء منذ جاءت إلى هذا المكان.

عادت لجو، الذي هدأ صوته على نحوٍ مفاجئ، مما أقلقها:

"جو!"

* * * *

.6.

كان الجو ملْئًا بنزعات البكاء، الصراخ، والرعب، خاصةً بعدما أصاب جودي الإرهاق، بعد محاولات عديدة فاشلة لكسر الباب أو الوصول لجو، خاصةً بعدما أصبح طلب النجدة من الآخرين أمرًا محكومًا عليه بالفشل؛ لانغلاق جميع الأبواب والنوافذ على حدٍ سواء بدون سبب على حين غرة، وكأن كلاً منهم عليه قفل ثقيل يمنع فتحه. لقد أصبحت الآن محتجزة في صندوق، لا يمكن النفاذ منه. ربما كان ذلك ليُصبح هينًا إن كان جو معها، ربما كان ليؤازرها مانحًا إياها الثقة للبحث عن مخرج. جو ليس هنا الآن، هو مسجون في قبو، وهي مسجونه في منزل، لا يستطيع أحدهما الوصول للآخر، كأن حائطًا قد بُني دونهما.

"سيصبح كل شيء بخير جو، أعدك". صرخت.

* * * *

في القبو، كان جو بلا شعلة ضوء، تنير هذا القبر الذي وقع فيه. صاح، ركل، حاول كسر الباب، لكن هيهات أن ينفتح. اختفى صوت خالته، ليصبح بمفرده يصارع أمواج الموت وحيدًا في غرفة تزداد ضيقًا، كأنفاسه الآخذه بالانهزام. أسند رأسه إلى الباب،

وقبضة يده قد تراخت من شدة الضرب، لقد استسلم لقدره. كل شيء حوله يدعوه للجنون، قتّل والداه، ستيف، خالته وكوابيسها المجنونه، حتى حياته التي ما عاد فيها متسع لأي شيء يدعو للتفاؤل.

ساعات مضت لا يعرف فيها ما عليه فعله، فقط الجلوس بجانب الباب كان مأمنه الوحيد، ضد أي شيء –هكذا اعتقد–. حتى انبلج نور صغير، أخذ يزداد وضوحًا حتى بهر عيناه فأغلقهما، وعاد يفتحهما رويدًا رويدًا، ليجد الغرفة مضاءة بمصباح مُعلق بأعلى سقفها، تلمع كما لو أنها قد نُظفت منذ قليل، تحتوي على سرير، وكرسي، وتغطي حوائطها صور عديدة.

"ألم أقل لك؟" تهادى الصوت إليه ساخرًا، ففزع ينظر بجانبه، ليجد ستيف يشاركه الجلوس.

صرخ: "ماذا تريد مني؟"

"لم يعد هناك "ماذا تريد؟" مقلدًا صوته: "بل ماذا يريدون؟"

"أيًا كان من أنتم؟ ماذا تُريدون؟"

"بالنسبة لي، فأنت تعرفني. أما هم، فلا أنصحك بمعرفتهم".

"ماذا تقصد؟ ثم ماذا حدث للغرفة؟ لقد كانت كالقبر منذ قليل؟"

وضع يده سريعًا على فمه يكممها هامسًا: "لا تقل هذه الكلمة".

"أخبرني، ماذا يحدث الآن؟ أو..".

"أو ماذا؟ هيا لا تكن غبيًا". انتصب بجسده واقفًا، يتأهب النزول. "ستأتي معي أم ستقضي بقية حياتك أعلى الدرج بجانب الباب؟"

لم يجد بُدًا من اتباعه، لقد كان صادقًا فيما يقول، فلن يقضي وقته على الدرج. على الأقل سيرافقه حتى تعود خالته بالمساعدة، التي من المؤكد أنها في طلبها، ربما بعض الدقائق لن تضر، هكذا فكر وهو ينزل الدرجات الست للأسفل. ألقى ستيف بجسده على السرير، مشيرًا إليه بأن يجلس على الكرسي المقابل أو مشاركته الجلوس على السرير لو أراد، فاختار الكرسي.

"ألن تخبرني بما يجري هنا؟"

"ليتني أستطيع. ستعرف كل شيء من تلقاء نفسك ككل مرة".

"ماذا تقصد بكل مرة؟"

"لا تعطي الأمر أهمية. أنت تتحدث كثيرًا وهذا يقلقهم".

"يُقلق من؟!"

أشار برأسه نحو بقعة مغطاه بفراء دُب على الأرض. طالع جو البقعة فلم يجد أكثر من ذلك، فهز رأسه: "من؟! الدب!"

"أحمق! ما يسكن تحت الدب".

انتفض جو، دافعًا الكرسي في غضب: "إما أن تخبرني أو أقتلك".

قهقه ستيف كمن سمع نكته مضحكة للغاية، أتبعها بعد ثوانٍ بحسره: "تقتلني، ليتك تفعل ذلك".

"ربما عليّ فعل ذلك بعد ما فعلته بوالداي".

"لم أقتل والديك، أقسم لك".

"أذًا من فعل ذلك إن لم يكن أنت؟"

* * * *

ظل جو وستيف مختبئان في الخزانة، طوال الوقت الذي قضته التوأمتان في الغرفة، يحفران تحت فرو الدُب. يطالع جو ستيف قلقًا من أن يراهما، فطمأنه ستيف هامسًا بأنها لحظات حتى يخرجن من هنا. في ذلك الوقت، كانت التوأمتان قد حفرتا مقدار نصف متر، ليتوقفا مع سماع صوت الساعة تدُق الرابعة صباحًا ثم يغادرن، دون الالتفات لتلك البقعة التي عادت مسطحة من جديد.

"ما الذي حدث الآن؟"

"إنهن التوأم، يأتين كل مساءٍ هنا للحفر، ثم يغادرن عند الساعة الرابعة ،اطمئن لن يعُدن إلا غدًا بعد منتصف الليل".

أخذ جو يضرب وجهه: "أرجوك أخبرني بأن هذا كان حلمًا، أو ربما برنامجًا واقعيًا أعلن أني منسحبٌ منه". صاح.

"اهدا يا جو! سأخبرك بكل شيء. لكن عدني أن تنصت دون مقاطعة".

أقسم من كل قلبه أن لا يفعل ذلك. وأصاخ السمع لستيف، الذي بدأ يحكي كمن يقص قصة أطفال.

"منذ خمسة عشر عامًا، سكن هذا المنزل عائلة من طفلتين وصبي. كان الصبي أكبرهما فلنقل بثمان سنوات أي أنه كان في الثامنة عشر من عمره، وهن في العاشرة.."

"أي في مثل عمري، فأنا في الخامسة عشر"

انزعج ستيف، وحذره، فعاد يُقسم له بعدم مقاطعته مرة أخرى.

"نعم، مثلك إن كان هذا ما يُريحك، سكنوا هذا المنزل المبني حديثًا وقتها، وعاشوا بسلام إلى ما يقارب العام. حتى استيقظ الوالدان في أحد الليالي ليجدا ولدهما مغطىً بالدماء على مقربةٍ منهما. بالطبع ذُعر الوالدان، وأسرعا يطمئنان على التوأم، ليجداهما مشقوقتا

الأعناق على أسرتهم، وسكينٌ ملقاة بجانبهما. اعترف الولد بقتلهما –بالطبع لوالديه– معللًا ذلك بأنهما قد سرقتاهما –أي والديه– منه منذ ولادتهما. وأنه غير نادم على ما فعل، فقد كانتا شيطانتين – كما وصفهما– تحاولان الاستحواذ على كل من في المنزل. في الصباح...."

طُرق الباب فجأة، ليقطع حديثه، بينما انتصب جو فجأة ينوي التوجه نحوه، أملًا في أن تكون خالته، فأمسك ستيف بذراعه يمنعه. لم تكن تلك طرقات باب، بل كانت محاولات لفتحه. لم تكن التوأمتان لتعودان في هذا الوقت، فكر ستيف، وهو يدفع جو للاختباء مجددًا في الخزانة.

عادت الغرفة كهيئتها السابقة، مظلمة وملئه بالتراب، مما أذهل جو وأقلق الآخر. "لا تعود الغرفة إلى وضعها الأصلي، إلا في حضور غريب". همس ستيف عندما سأله عن سبب تغيرها.

"أليس هذا يعني بأننا نجونا؟!"

"أنت أحمق! انتظر وأصمت".

"لا بد وأنها خالتي جودي. أكيد أنها استطاعت فتح القفل".

"أصمت يا جو! واذ.. ت .. ظر". قال يكز على اسنانه.

.7.

"هيا يا بني، اذهب واغتسل وضع ثيابك في هذه الحقيبة، واحرص على ألا تلامس ثيابك شيئًا آخر في المنزل". قال الوالد وهو يدفع به إلى الحمام، قبل أن يُغلق بابه.

"ماذا تفعل؟" الأم وجلة، غير مصدقه لما يحدث.

"لن أضحي بالصبي، عليكِ فهم ذلك ومساعدتي لإخفاء الأمر".

حدجته الأم بعينين فاغرتين، تكمم فمها بيدها: "لا أصدق! عليه تحمل مسؤلية فعلته".

أمسك الأب بذراعي زوجته: "إسمعيني لقد خسرتي الآن طفلتين، فهل ترغبين بخسارة ابنك أيضًا؟ لقد أتم ابننا الثامنة عشر من عمره، مما يعني أنهم سيأخذونه للسجن، وقد يُعدم بالكرسي الكهربائي، أو بآخر. هل تُريدين له ذلك؟"

"لكنه قتل...".

وضع أصبعه على فمها بلطف: "لا يا مارجريت.. لا. لن أسمح بذلك.. لن أسمح لكِ بفعل ذلك".

بكت الأم يومها أيما بكاء، وهي تُساعد زوجها على لف جثتي طفلتيها في بعض الأقمشة. في الوقت الذي انتهى ستيف من أخذ حمامه، مناولًا والده الحقيبة، متجنبًا النظر في عيني والدته.

"اذهب أنت للنوم في سريرك. وانسى أن ذلك قد حدث". أمره بحزم.

"وماذا سنخبر الناس؟" قاطعته الأم بغضب. "هل سنخبرهم بأنهما قد تبخرتا أم أنهما قد هربتا مع حبيبيهما؟ لقد كانتا في العاشرة، بالله عليك". ثم انخرطت في البكاء مجددًا، بينما يدفع الأب ابنه المتسمر إلى الخارج: "لتنفذ ما أمرتك".

عاد الرجل إلى زوجته مهددًا: "لا تقلقي سأتصل صباحًا بالشرطة، لإخبارهم بكل شيء، ساخبرهم متصنعًا الصدمة أني استيقظت لأجد زوجتي قد قتلت طفلتيها، أو ربما كان من الأفضل أن أقتلك الآن وأدعي أنه كان دفاعًا عن النفس كما يقولون، بعدما وضحت نيتك في قتل العائلة باكملها. وسأجعل الصبي يشهد بما أقوله أيضًا".

تراجعت مارجريت مشدوهة، ليرفع زوجها يده مُهدئًا: "وقد لا يحدث كل هذا غن ساعدتني وأبلغنا الشرطة بعد ذلك عن فقدانهما. تختفي الكثير من الفتيات هذه الأيام كما تعرفين، لن تكون قضية جديدة. حسنًا الآن، إما قصتي أو قصتك؟ فأيهما تختارين؟"

"ماذا لو اكتشفت الشرطة خطتك؟ ماذا سيحدث؟"

"ثقي بي، لن يكتشفوا شيئًا، طالما ستلتزمين بالحديث الذي أخبرك أياه".

"ألم تكن هاتان طفلتيك أيضًا". قالت بحزن.

"نعم، لكني الآن أحاول الحفاظ على الطفل المتبقي. وما حدث قد حدث، ثم أنك أمه وواجبك حمايته مما قد يحدُث له". قال منهيًا الحديث.

* * * *

صوت خطوات تتهيء للنزول، قبل أن يرن الهاتف، فيُعاد إغلاق القبو. أزاح جو باب الخزانة بيده، يصرخ راكضًا: "انتظر، أنا هنا". بينما يعاود ستيف الجلوس على سريره بهدوء.

"لقد ضيعت فرصة إنقاذي، إن كنت ترغب في البقاء هنا، فلك ما أردت. لكنك لن ترغمني على ذلك".

"ألا تُريد سماع بقية القصة؟"

دفع الكرسي بحنق: "لم تفهم أبدًا ما يعنيه أن تكون حبيس غرفة كهذه".

تنهد ستيف: "بل أعرف".

جلس جو مستسلمًا: "ربما يمكنك الآن اخباري القصة. ولا أعني تلك قصة التوأمتين، بل قصتك أنت. ما الذي حدث تلك الليلة؟"

"أي ليلة؟!"

"الليلة التي قُتل فيها والداك. هل توصلت بعدها إلى جثة أختك؟"

"في الحقيقة، تلك الليلة كانت نهاية قصتي لا بدايتها".

"إذًا ربما عليك إخباري بها من البداية".

"البداية مشابهه لقصتك، انتقلنا إلى هذا المنزل الملعون قبل خمس سنوات. في البداية كان الأمر عاديًا، كانت أختي تتذمر كثيرًا بسبب هذا الانتقال، ورغم أني كنت كارهًا له إلا أني لم أرغب بإزعاج والديّ اللذان حصلا على منزل أحلامها كما يقولان. بعد شهر واحد نابت أختي بعض الكوابيس، التي أخذت تُيقظها من نومها كل ليله فزعة. كانت ترى التوأمتان يُشيران دائمًا إلى القبو. اعتقدت أمي بأنها مجرد هلوسات، ولم تأخذ الأمر بمحمل الجدحتى اطلعتني أختي على ذلك، في إحدى الليالي، التي فوجئت بها تقف بجانبي، تطالعني وأنا نائم، وبيدها دبها المحشو.

كنت أُرجع كل ذلك للكوابيس، لكنها أصبحت ترى أكثر من مجرد إشارة، لقد اخبرتني يومًا بأنها تراني أقتلها في المنام، أو بالأصح أشق عنقها كانت تبكي ليلتها بشدة، وما إن علم والدايّ حتى تضايقا من أفعالها. حسنًا، لنكن واقعيين، لم يكونا ليلقيا اللوم على المنزل. لقد وجداه بعد شق الأنفس، خاصةً وأن المنازل حوله كانت مرتفعة السعر، باختصار كان المنزل يتصف بالكثير من المميزات منها الشارع والحي، الطبقة التي يعيش فيها ساكنيه، وغيرها كما تعلم. فلم يكن عقلانيًا أن يتهموا منزلًا بالتسبب في ذلك، لكن يمكنهما إعزاء ذلك إلى ما سببه التنقل لأختي من غضب، جعلها تكذب وتختلق أحداثًا لإخافتهم.

عانت أختي الأمرّين، التوأمان ووالدايّ اللذان أصبح مزاجهما سيئًا بسببها، أمرتها ألا تتحدث مع أحدٍ سواي في هذا الأمر، حتى نجد له مخرجًا. أصبحتُ من يومها أراقبها وقت دخولها لغرفتها من شق الباب الذي اتفقنا على إبقائه مفتوحًا. لكني لم أرى أو أسمع شيئًا طوال تلك الليالي، مثلها بالضبط. أصدقك القول أني شعرت بالراحة، لانتهائه عند هذا الحد. وعدنا لطبيعتنا تلك الفترة، متناسيان كل ما حدث.

حتى جاءت تلك الليلة، التي سمعت فيها ما يتم قوله بالصدفة خلال مروري بجانب غرفتها، متوجهًا للحمام. لقد رأيتها تستجذيهما أن لا يفعلا ذلك. لم أفهم ما هو ذلك الفعل إلا بعدما اقتحمت الغرفة،

فلم أجد غير أختي، التي اخبرتني بنيتهما. لم أنم تلك الليلة، أفكر فيما عليّ فعله. كان عليّ إنقاذها، لكن كيف؟ لم أدرِ".

* * * *

إنفلتت ذراع الفتاة منهما، بينما هما يحملانها، مما أغضب الزوج الذي سارع يصيح بها أن تنتبه لخطواتها، حتى لا تقع الجثة. وما أن وصلا إلى أسفل القبو، حتى أسندا الجثة مستقيمة إلى الجدار المتهدم، بجانب أختها. حمد الزوج الله أنه لم ينهي العمل فيه، وإلا كان عليهما الحفر بالحديقة، وقد تسبب أدوات الحفر صوتًا يجذب الانتباه. ثم عاد يُكمل عمله بعد ذلك سريعًا، قبل أن يحدث شيء يمنعه.

في اليوم التالي، بلغا الشرطة باختفائهما، وتم الإعلان عن أوصافهما، وبعد بحث طويل، لم يعثر لهما على أثر. وظل ملف قضيتهما مفتوحًا، حتى ترد أدله أخرى.

شهور مضت، كانت الأمور فيها على ما يرام، حتى بدأت أم إحدى فتيات الجيران تُذيع بين الناس أن ابنتها تراودها كوابيس عن الفتاتين المختفيتين. يخبرانها فيه بأنه قد تم قتلهما ودفنهما بالمنزل. كادت الشرطة تفتح الملف مجددًا، لولا أنها لم تقتنع بقول الأم بعد علمهم بأنها تقوم بجلسات لتحضير الأرواح. امرأة تبحث عن الشهرة، ظن

الجميع، مستائين من أن يصل بالمرء التفكير إلى الاستهزاء بأحزان الآخرين، وفجعهم في اطفالهم المختفيين.

لكن الأب على خلافهم، كان يشعر بالخوف من صدق المرأة، التي أصبحت تنظر إليه بتقزز غير مبرر. ربما كانت على حق، فكما هو شائع الأرواح لا تفارق الأرض حتى تنتقم ممن أذاها، هكذا فكر قلقًا. كان عليه البحث عن شيءٍ يقوضهما عن أذيته، وقد كان ترك المنزل وقتها مدعاةً للشبهة. فأخذ يبحث عن الكتب التي تتحدث عن الأرواح، واستدعائها، وربما تقويضها أو التخلص منها. لكن لا شيء، كان بإمكانه أن ينجح معهما، خاصةً بعد ظهورهما مجددًا لفتاة في مدرستهما، بدون حديث. فقط أفزعاها، وما أن صرخت طالبةً النجدة حتى اختفتا. لم يكن على الأب –ما دام لم يستطع التخلص من روحيهما– أن يجد طريقة لابقائهما داخل المنزل، وقد كان.

بعد بحثٍ مضني وجد تعويذة يمكنها حبس أي روحٍ داخل مكان، فصنعها بنفسه، ودفنها في أرضية القبو مع قلادتهما، كي لا يُخرب الجدار. المهم أن تكون في نفس مكان الجثة أو بجانب متعلقاتها، كما وضح الكتاب.

كل تلك المدة، كانت مارجريت متماسكة إلى درجة لم يصدقها زوجها بل كانت في أفضل أحوالها، كما السابق. حتى أنه ود لو

يسألها عما غير رأيها، لكنه آثر الابتعاد عن كل ما يُذكرها بتلك الليلة المشؤومة.

بعد بضعة أشهر وجدوا الأم مشنوقة في القبو. يقال أنها انتحرت لمّا لم تستطع التعايش مع اختفاء التوأمين، لكن زوجها الوحيد الذي يعرف أنها لم تستطع تحمّل شعورها بالذنب الذي انفجر على حين غرة في الأسابيع الأخيرة، لتغدو مكتئبة، لا تُسّكنها إلا العقاقير.

بعدها غادر الأب بصحبة ابنه المكان، وانتقل إلى مدينة أخرى، عارضًا المنزل للبيع.

* * * *

رانيا حجاج

.8.

يكمل ستيف..

حاولت إرغام والديّ على قضاء الليلة الموعودة بالخارج، وذلك عبر السفر لمدة أسبوع إلى أي مكان، حتى ينتهي ذلك الموعد. بالطبع رفض والديّ أي اقتراح، حتى بعدما أخبرتهما بما رأيت وشاهدت؛ لأتفاجأ برد فعل عكسي لما توقعت، حيث ظنا بأني أنا من حرضت أختي على فعل ما تفعل ليتركا المنزل. يبدو أن هذا المنزل كان يمثل لهما حقًا قيمة كبيرة، لدرجة جعلتهما ينبذان أي فكرة بإمكانها دفعهما لتركه.

في تلك الليلة لم أنم من شدة التعب والتفكير، علينا أن نهرب، أخبرت أيمي –أختي الصغيرة– لكنها كانت خائفة حد الموت. كانت تبكي كثيرًا، وهي تخبرني بأنها لن تترك أمي تصارع الأمر وحدها. "يجب علينا إيجاد حل يا ستيف". إلا أن إيجاد حل قبل منتصف الليل، سيكون مستحيلًا، خاصةً وأن والدينا لا يستمعان إلى ما نقول. جمعت وقتها كل الأدوات الحادة التي وجدتها بالمطبخ، وبالكراج، في غرفتي. أستعد لما هو آتٍ، لا يوجد حل غير الدفاع عنا وعن منزلنا. أما نحن أو هما؟

الساعات التي مضت بعدها دون شيء، أن دلت فستدل على أن كل ما نعاني منه هو خرافة، علينا عدم الوقوع في زواياها المظلمة. أشرقت شمس اليوم التالي، ليفيق والدي كعادته للذهاب للعمل، بينما تحضر والدتي الفطور لنا، في حين يفترض بنا تحضير أنفسنا للذهاب للمدرسة، كأي يوم طبيعي. نظرت إلى أختي الغافية على سريري، وأنا أفرك عيناي تعبًا من قضاء كل تلك الساعات يقظًا.إذًا، لقد كانت محاولة منهما لخداعنا، بغية إشعارنا بالخوف، فكرت. حتى باغتتني فكرة حدوث الأمر مسبقًا، لأتساءل لماذا تركتانا؟ ربما أشفقن على أختي؟! أو ربما خافتا لما وجدتاني مستيقظًا، في انتظارهم.

كان الأمر أكثر تعقيدًا مما اعتقدت، ولشدة شكي بالأمر، ظللت ثلاثة أيام بعدها لا أنام، حتى وجدت نفسي في غحدى الليالي مغشيًا عليّ من التعب. وقد كانت تلك الليلة المنتظرة، على ما أعتقد، حيث جائتني أختي تصرخ باكية تخبرني بما حدث لأمي وأبي. لأجذب يدها مسرعًا إلى الباب الخارجي، دون حتى التأكد من صحة حديثها، وكانت المفاجأة. لقد غادرت أختي المنزل سالمه، بينما منعني شيئما من مغادرته، ليُغلق الباب بعدها مباشرةً، يدفعني شيء بقوة إلى الحائط بالداخل.

صرخت، ضربت الباب بقدمها تناديني، أكاد أسمع صوتها وسط الضجيج الذي ألم برأسي، بعد تلك الضربة. مشيت متعرجًا نحو الباب ممسكًا بذراعي الأيسر من شدة الألم:

"أهربي من هنا، ولا تعودي لهذا المنزل مهما حدث. اتسمعيني.. مهما حدث". ثم بكيت.

لقد كنت انتظر حتفي لا محاله، فقط كان عليّ التريث قليلًا، حتى ينتهي كل شيء.

"لهذا لم يجدوا جثة أختك، لقد هربت إذًا.لكن لماذا احتجزتاك بالمنزل غن لم تكونا راغبتين بقتلك؟" جو مقاطعًا، عن غير فهم.

"لا تُصدق كل ما تقرأ. فالحروف تخدع أحيانًا، خاصةً في عالمٍ كهذا، يمكنك معه نسج كل شيء تُريده أن يحدث".

"إذًا، هل تركتاك حيًا؟ أم ماذا؟"

"أم ماذا؟"

"لم أعد أفهم شيء. هل يعني ذلك أنك ميت؟" فغر فمه مشدوهًا: "وأن باستطاعتي التحدث مع الموتى".

ضحك ستيف: "ما زلت أحمق يا جو؟"

عاد صوت فتح الباب من جديد، لكن أكثر هدوءً هذه المرة. اختبئَ مجددًا في الخزانة، يتلصصان من الفتحات المتاحة لرؤية القادم. خطوات أقدام تنزل الدرج ببطئ، وعلى ما يبدو من الضوء المنبعث أمام ذلك الشخص، أنه يحمل مصباحًا يدويًا. بدأت معالم القادم في الظهور، ليتضح أنها الخالة جودي.

"أنا لا أفهم، لماذا لا تتدعني أتحدث إليها؟ لقد جاءت لتنقذني".

"أصمت وراقب، ثم قرر بنفسك".

"هيا أين أنت أيها اللعين؟" جاء صوتها هامسًا ناقمًا، مما أخرسه.

"هل وجدتي شيئًا؟" جائها صوت رجل من أعلى.

"لا، ليس بعدّ".

"أسرعي، فأنا لا أرتاح لوجودنا في هذا المكان كثيرًا".

"أصمت الآن، وراقب الباب في حال حضر السمسار. أخبرني بوصوله أولًا". صرخت بصوتٍ عال.

"حاضر، لكن أرجوكِ أن تسرعي". قال بصوتٍ يبتعد.

"أحمق!" همست. "الآن أين أنت؟"

"عن ماذا تبحث خالتي يا ستيف؟"

"أصمت الآن".

"هل تعتقد بأنها تستطيع رؤيتنا؟"

"ما عُدت أدري ما هي قادره على فعله".

"تتحدث عنها وكأنها شخصًا لا أعرفه. عليك أن تعلم بأنها ألطف شخص يمكنك لقاءه".

"هه! ربما! أصمت الآن حتى تغادر".

"ماذا؟! تغادر وتتركني هنا. أنا أيضًا أريد أن أغادر معها".

"لم تفهم حتى الآن يا جو ما يجري. لماذا طال الأمر عليك هذه المرة؟"

نظر إليه مستاءً، وعلامات التعجب ظاهرة على وجهه:

"أفهم ماذا؟ وما الذي طال؟ هل التقينا سابقًا؟"

* * * *

ظلت جودي تبحث في القبو، عما يمكنها به إنقاذ نفسها، ويتيح لها بيع المنزل. لقد ملّ السماسرة من طلبات الرفض التي تأتيهم من

جميع من عرضوا عليهم المنزل لشراءه، إما لأنهم قد عرفوا بقصته، أو تركوه بعد قضاء ليلة واحدة فيه –أو أكثر– لأنهم جميعًا قد اتفقوا على رؤيتهم لشبح صبي يحوم بالمنزل، مما أثار ذلك الذعر في قلوبهم.

بعد بحث طويل، وجدت جودي أن لا حل لهذه المعضلة، إلا بالتخلص من كل أثر لساكنيه السابقين. لكن هذا ما فعلته حين تسلمت المنزل سابقًا، حيث تخلصت من ملابس عائلة أختها ومتعلقاتهم، ثم اضطرت إلى تغيير الأثاث بعد رفض المشترين له، أو هروبهم قبل انتهاء مدة السكن المقدمة –من قِبلها– لهم للتأكد من أن لا شيء يستدعي الخوف. ربما استطاعت لوهلة اقناعهم بعدم وجود أشباح لتجربته، إلا أن من علم بقصة سلاسل القتل التي حدثت في المنزل، لم يُقدم على القدوم لرؤيته حتى.

تأففت، تزيح بعض الأغراض المتربة عن كرسي قديم:

"لقد تخلصت من كل شيء عداك. أين أنت؟ لماذا لا تُريني نفسك؟"

الصمت فقط في ذلك القبو، كان الأجابة السامية لكل أسئلتها. "ثم أين تلك الاسطورتان؟ عليّ التخلص منكم جميعًا، حتى لو اضطرني ذلك إلى حرق المنزل". صرخت.

"عزيزتي، لقد حضر السمسار". نادها الصوت من أعلى.

"أنا قادمة". أجابته. "أحمق!" همست، تجول المكان بعينيها مرةً أخرى.

* * * *

بالأعلى كان السمسار بانتظارها، وأمارات اللامبالاة باديه على وجهه، الذي لطالما رأته جودي قبيحًا:

"أحقًا تريدين بيع هذا اللعنة–مشيرًا للمنزل–؟ أتعلمين مدى صعوبة بيع المنازل العادية، ما بالك بمنزلٍ كهذا؟"

"إسمعني، أنا أبحث عن اثنين من خارج المنطقة، لا يعرفان عن المنزل شيء. وعلينا أن نبقي على هذا الأمر سرًا حتى نوقع عقد البيع والشراء".

"ومن أين سأجد لكِ هذين المغفلين؟"

"كما وجدت أختي وزوجها".

"حسنًا، هذه فرصتك الأخيرة، لقد أضاع هذا المنزل الكثير من وقتي. لذا أطالب بحصة أكبر، نظير التزامي معكِ منذ عامين ببيعه".

"لا مشكلة، ابحث فقط عن الزوجين المناسبين، وأخبرني".

عندما غادر السمسار، أخبرت جودي صديقها عن رغبتها في التأمين على المنزل، ليجيبها ساخرًا:

"التأمين من ماذا؟ من الأشباح".

لتلكزة بكوعها في جانبه الأيمن: "هل ترى أني أمزح؟"

"لم نقدر على بيع المنزل اللعين هذا. ورغم ذلك سنقوم بالتأمين عليه، فليحترق في الجحيم".

هنا طالعته جودي وعلى شفاهها ابتسامة غادرة: "الآن بدأت تفهمني يا مايكل".

* * * *

.9.

خرج ستيف من الخزانة، يبحث عن شيءٍ ما كان قد وضعه في حقيبة صغيرة، وخبئه خلفها:

"علينا إيجاد حل. فعلى ما يبدو لم تعد نوايا خالتك حسنة".

"ستيف، عليك أن توضح لي ما يجري هنا".

أخرج صورة لجو، وسلمه إياها: "هذا ما تبحث خالتك عنه".

أثار ذلك اضطرابه أكثر، مما زاد من رغبته في ترك هذا الجنون، بالصراخ حتى تأتي خالته لإنقاذه.

"علينا إخراج هذه الصورة من المنزل قبل أن تقوم بما تنتوي فعله".

"توقف هنا وأخبرني ما فائدة هذه الصورة؟"

وضع يده على كتف جو، ونظر إليه بعطف: "لأن هذه ما تبقيك حيًا هنا. في العادة تكون في هذا الوقت قد اكتشفت كل شيء، لكن على ما يبدو لن تمر الأحداث هذه المرة بتلك السلاسة".

"أسمع، أما أن تخبرني، أو أصرخ طالبًا النجدة".

في اللحظة التي أراد إخباره، ظهرت التوأمتان فجأة على غير عادتهما، ليصمت. ارتعد جو، ووقف خلفه خوفًا. طلب ستيف منهما الابتعاد عنه وجو، لكنهما ظلتا تقتربان وكل رأسٍ منهما يميل للجهة المعاكسة للأخرى، بينما يغطي الشعر جهتا الوجه. وبدون حديث، أشارتا إلى مكان العقد المدفون بالأرض. صاح بهما، إنه لن يخرجه أبدًا، وأن عليهما الاندثار في هذا المنزل. ارتفعت زمجراتهما، واصابعهما ما زالت تُشير إلى المكان، وسط رفض ستيف المتكرر.ثم أغمض عينيه، وطلب من جو فعل المثل، فأكمل بوضع يديه على أذنيه، في محاولة لمنع صوت صراخ التوأمتان العالي من أن يُذهب بسمعهما.

أنتهت المأساة بعد دقائق، وعلامة دائرية كبيرة تُحيط بمكان القلادة.

وضح ستيف لجو بعد مغادرتهما، رغبة التوأمان بالخلود، عبر استخراج قلادتهما.

"ماذا عني؟" سأله جو "أريد أن أغادر هذا المكان أيضًا".

"واحد فقط يا جو سيغادر. وقد تم اختياري". قال أسِفًا.

"لماذا؟ أعني ما سبب تفضيلهما لك عني؟"

"ماذا تقصد يا صديقي؟ أنت لديك الحل لخروجك من هنا وقد أعطيتك إياه. لكن أنا ليس أمامي إلا محاولة إيجاد فرصة للنجاة وإلا سأبقى عالقًا هنا، حتى تقوم خالتك بعمل جنوني يقضي علينا".

"أخبرني، كيف لك أن تظل هنا كل تلك السنوات دون أن يتواجد هنا شيء يربطك بالمنزل، أليس ذلك غريبًا؟"

"أنت محق، لقد بحثت في كل مكان عن شيء يعود إليّ. لكن هذا المنزل بعد.. تعرف موت والديّ.. قد تم تجديده من الألف للياء. لذا استبعدت وجود شيء يخصني ها هنا". زفر في تضايق: "أتعتقد أنني سعيد بوجودي هنا؟! كل ما رغبت فيه هو عبور الضوء الأبيض، أريد لروحي أن ترتاح".

"انتظر! إن كنت روحًا، وهن أيضًا، فهل هذا يعني أني كذلك؟"

"لقد فهمتها متأخرًا يا جو! أسف لذلك. كل عام تُصيبك حالة من فقدان الذاكرة في ذكرى.. تعلم الحادثة".

"تقصد مقتل أبي وأمي".

"أقصد مقتلكم جميعًا".

وضع جو يده على صدره، وغرورقت عيناه بالدموع: "أتقصد أنـ.. لكن من...؟ أقصد هل قُتلتُ...؟ كيف ليألا أذكر ذلك؟ ماذا حدث ليلتها؟ هل قُتلنا على يد الأختين؟ أجبني أرجوك".

أمسك بذراعيه بلطف:

"ستتذكر كل شيء، لا تقلق. المهم الآن أن نجد حلًا لهروبك من هنا".

"سأطلب من خالتي جودي المساعده".

"انسى أمر خالتك جودي".

"لماذا؟ ثم انتظر هل كل ما عايشته قبلًا كان وهمًا؟"

هز رأسه إيجابًا: "يخلقه عقلك كل مرة، أنت غير قادر على تقبل الحقيقة".

"حقيقة ماذا؟ أخبرني". صرخ في وجهه.

* * * *

"السمسار الأحمق لا يجيب على اتصالاتي". قالت غاضبة، تقذف الهاتف على الأريكة.

"هل تعتقدين أنه قد تراجع عن مساعدتنا؟" سألها مايكل الغارق في تناول الجعة.

"علينا أن نجد شخصًا بخر لمساعدتنا".

"من باعتقادك؟ الجميع هنا يعرف القصة. ولن تخفى عليه ألاعيبك تلك".

قطعت جودي المكان ذهابًا وإيابًا، تفكر في حلٍ لمعضلتها. عليها التخلص من المنزل، لكن كيف؟ لم تعُد تُطيق الانتظار، أصبح المكان يُدخل على قلبها الرعب كما أن تلك الأشباح لا تفارقها أبدًا، ويشهد على ذلك استيقاظها فزعة كل ليلة من كابوسها، الذي يُصر على تكرار نفسه كل مساء.

القرار الآن أصبح بيدها أما بيعه أو حرقة؟ لم يعُد هناك وقت أكثر للتحمل. من الجيد أنها قامت بالتأمين عليه، نهاية الأسبوع الماضي كل شيء سيبدو طبيعيًا، إن وجدت شخصًا –سمسارًا– يشهد معها بأن نيتها صادقة ببيعه". لكن لماذا ترغبين بتأمينه إن كنتِ مُقدمة على بيعه؟" سألها موظف التأمين. كادت تسقط في فخه، لولا أن أسعفها ذكائها بإجابة بدت له مرضيه نوعًا ما: "بعد محاولة بعض الشباب اقتحامه، بحثًا عن الأشباح ارتأيت التأمين عليه؛ خوفًا من أي عواقب. على الأقل حتى أتمكن من بيعه بسعر مناسب". مؤكدة في النهاية، على أن الأمر شكلي، لمجرد ضمان عدم حدوث شيء.

هل كانت شركة التأمين لتصدق قصتها؟ أن أشتعل المنزل بعد يوم واحد من تأمينها عليه. لا بالطبع، وقد كانت على ثقة من ذلك. لذا فكرت في تضييع بعض الوقت مع السماسرة، حتى تجد الوقت المناسب لهدم كل شيء. بيدّ أن صبرها كان قد نفذ يوم واتتها الفكرة، وبدا ارتباطها بهذا المكان أبديًا، وقد كرهت ذلك. حتى أنها طلبت من مايكل القدوم لمساعدتها في البحث عن القطعة التي جعلت من روح جو، عالقة على ما يبدو من قصص الذين أرادو شراء المنزل. لم يستطع الاعتراض لعلمه بأن ذلك سيغضبها لا محاله. فما كان منه إلا أن نزل مجبورًا إلى القبو، الذي استقبله بحفنه من الأتربة، التي جعلته لا يكف عن السعال طوال عملية البحث الفاشلة.

صممت جودي بعدها على استدعاء عمال لرفع كل تلك المتعلقات بالأسفل ورميها بالقمامة. وبهذا لا يصبح أمر إيجاد تلك القطعة إلزاميًا، كونها سترمى بعيدًا، مما سيجعل البيت أكثر أمانًا، لمن يدرسون عملية شرائه.

في صباح اليوم التالي، جائها عاملان مع شاحنة كبيرة، وبدأو ببطئينقلون الأمتعة إلى الخارج، ممتعضين من كثرة اتساخها. مما اضطرها لدفع مقابل أعلى لتضمن إنجازهما المهمة لأخرها بإلقاء كل تلك الأغراض في مكب القمامة في نهاية المدينة. وضع الرجل المال في جيبه، مومئًا بابتسامة رفعت الغطاء عن مجموعة من الأسنان

المصفرة القذرة قبل أن ينطلق بعيدًا. بينما تنهدت جودي ارتياحًا، وذهبت لتلقي نظرة أخيرة على القبو الفارغ من كل شيء.

جالت بعينيها المكان في سعادة خفية:

"الآن تخلصت منك، على الأقل حتى الآن".

* * * *

كان العمال يرفعون الخزانة من مكانها، بينما يحاول ستيف وجو التماسك بداخلها. كانت الطريقة الوحيدة لخروجهم من المنزل بعيدًا عن نظر التوأمتان، اللتان لم تتواجدا كعادتهما في النهار–إلا مؤخرًا ولمرة واحدة لم يستطع ستيف فهمها–. فلعنتهما معلقة بالليل، وبوقتٍ معين منه، يبث فيهما الحياة من جديد، ليبحثا عن طرائدهما. هكذا صُبت اللعنة عليهما، وهكذا ظلتا مسجونتين بهما طوال هذه السنوات.

"من الجيد ما فعلته خالتك، فلقد سهلت لنا طريقًا آمن للخروج".

"أنا خائف يا ستيف".

"إن كنت تشعر بالخوف، أغلق عينيك، حتى نصبح بالخارج".

بعد تسع دقائق من تحرك الخزانة من الداخل، ووضعها بالشاحنة، بدأ جو بفتح عينيه، ليرى إلى ما قد وصلا إليه. تلمس الصورة في جيبه سريعًا، ليجدها على وضعها. ثم حرك رأسه سعيدًا نحو ستيف، ليسأله عما ينوي فعله، فلم يجده. ناداه، ظنًا منه بأنه يتجول في الشاحنه، فلم يُجبه. فهرع يخرج من الخزانة، راكضًا نحو الشارع، يناديه بصوتٍ أكثر قوة "ستيف". لا يمكن أن يكون قد تركه وحيدًا، بعدما ضمن خروجه. هل يمكن أن يفعل به ذلك؟ هل يعني ذلك أنهما قد افترقا وأن عليه الآن المضي وحده؟ هكذا فكر مرتابًا من كل شيء.

"لكنه لم يكن ليمضي دون وداع". همس لنفسه، قبل أن يعاود مناداته بالقرب من البوابة، التي حرص على عدم دخولها، لكن ما من إجابه.

تخطاه العمال بأغراض أخرى، وهم يتأففون من هذا العمل القذر، وجودي هناك تتابعهم عن بُعدّ.

"خالتي جودي". تمتم في شوقٍ، وبداخله رغبة في الذهاب والتحدث إليها، لكن مع كل تحذيرات ستيف له، كان عليه أن يرتاب في كل شيء حتى يعرف الحقيقة. في وسط جعجعة الأفكار بداخله، سمع صوتًا ضئيلًا يأتي من النافذة الخاصة بالقبو. أنه ستيف، ما زال محتجزًا هناك. سأله جو مرتاعًا عما يفعله هناك، ليخبره بأنه من

المؤكد أن التوأمتين قد دبرتا سجنه هنا للأبد، عبر تملكاهما لقطعة عائده له أو ما شابه، وإلا لماذا هو بالذات ما زال هنا؟

"سأجد حلًا". صرخ جو.

.10.

تمنى جو لو أن ما مضى كله كان حقيقيًا، وأنه الآن يلهو بالخارج بعد نجاته من هذا المنزل الملعون. إلا أنه ما كان ليفعل بعدما دبر ستيف بقائه هناك، بسرقة الصورة من جيبه، بعدما كان قد أعطاه إياها ليضمن اطمئنانه إليه. وها هو يخفيها في مكانٍ لا يعرفه سواه، ليضمن مجددًا عدم حصوله عليها هذه المرة. "لماذا فعلت هذا يا ستيف؟" همس لنفسه بعد اكتشافه الحقيقة. "من هنا الجاني ومن المجني عليه؟ سأُجن!" عاد يحدث نفسه، تجول عيناه المكان غير مصدق ذاك الفراغ الذي يُحيطه بذراعين من حديد.

الآن باب القبو مغلق، ولا أمل لديه في أي شيء.

مضى الوقت بطيئًا في قبوة الصغير، لكنه كان أسرع بالنسبة للتوأمتين اللتين عاودتا الظهور. لم يكن هناك خزانة هذه المرة للاختباء فيها، فقط هواء الغرفة الخاوية ما يفصل بينهما.

"لم أعد خائفًا، يمكنكما فعل ما تريدانه بي". قال دون أن يحرك ساكنًا.

تقدمتا منه معًا، تحدقان في وجهه الذي اكتسى على حين غرة ملامح الرعب، التي حاول جاهدًا إخفائها. ثم اقتربت كلًا منهما من أذنٍ له يهمسن: "ولماذا نفعل ذلك؟ لقد خانك ستيف كما فعل بنا".

تجمدت الدماء في عروقه لبرهة، قبل أن يتذكر أمر السلسلة. رأهما يجلسان أمامه، يحدقن في وجهه بعينيهما الخاويتين على ما يبدو. سألهما مترددًا إن كانا ينويان أذيته، ليهزا رأسهما نفيًا: "لم تفهم بعدّ يا جو! لقد خاننا ستيف".

"أعلم أعلم، لقد خانني أيضًا. وها أنا عالقٌ معكما، كما يبدو إلى الأبد. على الأقل استطاع أن ينجو".

"إنّ نجاته هذه ستجلب الكثير من المصائب". قالتا بصوتٍ واحد.

"لماذا؟ في النهاية قد ترك قاتلتين تحومان بالمنزل حتى وصول طرائدهما الجديدة، أو قد تحرق خالتي جودي المنزل وينتهي أمرنا".

تقابل وجهيهما، كما لو أنهما يتبادلان النظر فيما بينهما:

"أي قاتلتين!"

"أعلم بأمركما، فلا داعي لادعاء الغباء. كما أني لم أعد خائفًا منكما". صمت قليلًا قبل أن يكمل في أسى:"لعله الآن يبحث عن أخته الضائعة، على الأقل لديه شخصًا ما يهتم به".

"لكننا أختاه! فعن أي أختٍ يبحث؟"

نفض جو رأسه، يطالعهم بنظرات ملؤها الريبة: "ماذا تقصدان بأختاه؟"

"سنخبرك بكل شيء".

* * * *

في مكانٍ آخر من المنزل، كانت جودي تنفض يديها بعد انتهاء الأمر. تنتظر عودة مايكل ليقلّها بعيدًا، إلى حيث قررا قضاء نهاية الأسبوع. اتصلت في ذلك الوقت بسمسار جديد، كانت قد تعاقدت معه على بيع المنزل، لتخبره بأنها ستمر على مكتبه لتسليمه المفاتيح قبل مغادرتها. وما أن أنهت اتصالها، حتى جائها آخر من مايكل يخبرها بتأخره لبعض الوقت، وأن بإمكانها العودة لشقتهما وانتظاره هناك حتى يفرغ.أخبرته بأنها ستتأكد من إغلاق الأبوب، وترتيب بعض الأشياء، قبل مرورها على السمسار من أجل المفاتيح، فمن يعلم؟ فقد ينجح الأخير بجذب بعض الزبائن. ضحك لضحكها، ثم أنهى المكالمة بقُبلة.

انتصبت جودي من على الأريكة، وتقدمت بخطواتٍ كسله إلى الأعلى حيث تحققت من كل شيء، قبل ترك المفاتيح بأبواب

الغرف، بعد تراجعها عن إغلاقهم. توقفت قليلًا أمام غرفة جو، تأملتها لبعض الوقت قبل أن توارب بابها. ألقت نظرة سريعة خلفها قبل أن تنزل الدرج، تطالع ساعتها بقلق. كان عليها الانتهاء من ذلك مبكرًا لولا انتظارها لمايكل. أطفئت الأنوار، ثم ذهبت لتحضر حقيبتها من على الطاولة الصغيرة المقاربة للباب. ما أن رأتها حتى سحبتها بقوة، مما تسبب في إسقاط المزهرية القابعة خلفها.

مما اضطرها إلى وضع حقيبتها جانبًا، ليتسنى لها تجميع قطعها المكسورة. تتذكر هذه المزهرية جيدًا، فقد أهدتها لأختها وقت انتقالهم حديثًا إلى هنا.

"الآن لم يعد هناك ما يخصني في هذا المنزل، وداعًا كايتي". أفلتت قطع المزهرية أرضًا، وحملت حقيبتها استعدادًا للمغادرة. لتجد منيقترب منها يناديها: "خالتي جودي". لتلتفت مرتاعة للخلف: "جو!"

* * * *

في الخارج كان ستيف ينتظر خروجها—المتأخر— من المنزل، فلم يكن ليجازف بدخوله حتى لو على جثته. أثار ذلك لبعض الوقت سخريته حين تذكر بأنه بالفعل شبح لجثة، إن لم يكن في الحقيقة الجثة نفسها

تتحرك. انطفأت الأنوار بعد عدة ساعات من الانتظار. كان ذلك إلى حدٍ ما مبشرًا، فقط كان عليه التروي حتى اللحظة المناسبة والتي لم تأتِ بعدها كما توقع، حتى سمع صوت شيءٍ يُكسر، تبعه صرخة مكتومة.

"لا بد وأن هناك ما أثار فزعها". تمتم، وهو يفكر فيما قد يكون سبب ذلك، حين خبطت رأسه المغفل فكرة حدوث ما حرص على عدم حدوثه: "هل يمكن؟!"

هل كان سيُجازف بدخوله للمنزل لمعرفة ما يجري، ماذا لو علق مرة أخرى في تلك اللعنة؟ كان عليه أن يجد طريقة لاستبدال روح بروح، وقد نجح في ذلك، فكيف له أن يُضيع كل ذلك الصبر خلال كل تلك السنوات من أجل لحظة يملؤها الفضول؟ حتى لو أن ما يخشاه قد حدث، لن يُغير ذلك من الوضع الحالي شيئًا. فهو الآن حر طليق، قادر على فعل ما يريد، وهذا كل ما يهم. "بعض الوقت لا يضر". همس لنفسه، يفرُك يديه.

* * * *

في الداخل كانت جودي تكتم صرختها، التي انطلقت رغمًا عنها ما أن رأت جو وخلفه التوأمتان. لا بد من أنها تحلم، هذا أول ما فكرت به، لكن ما استمر في الحدوث جعلها تتيقن بأن هذا لا يمت للأحلام بصله بل للكوابيس. أخذت وقتًا حتى هدأت، وبدأ عقلها

باستيعاب ما يحدثفما سرده جو عليها كان أشبه بقصص الأفلام، التي لا طائل منها –في نظرها–. تمنت لو أنها خدعة من أحدهم، لكن كان عليها مجابهة الواقع، وأنما يحدث لا علاقة له بالخدع.

الآن توضح لها كل شيء، ستيف هو الجاني، لكن من ستيف؟ شرح لها جو كل شيء، كيف قتل أختيه، وكيف ساعداه والداه على إخفاء الجريمة، كيف زيف انتحار والدته؟ وتلك اللعنة التي صبها عليه والده حين عرف بالأمر،وعن الطريقة التي عرف بها حاجته لمبادلة روحه بأخرى حتى يستطيع الخروج بعدها. وبكى وهو يخبرها باللحظات التي أقدم فيها على قتلهم جميعًا ليلتها.

"لماذا الآن؟" سألت جودي.

"لا أدري. إنه يخطط لعمليات جديدة، ولا أعرف على ما ينتوي".

"وماذا علينا أن نفعل الآن؟"

"علينا التخلص منه".

"كيف؟"

"علينا إعادته للمنزل، وإحراقه معه. فنحن لا ندري حقًا، أين أخفى والده اللعنة التي تحمل أثره في هذا المنزل؟"

"لكني بذلك سأفقد التأمين، فسيعرفون لا محاله بأن الحادث مفتعل".

اقترب منها: "خالتي، لا نعرف الآن ما يمكن لستيف أن يُقدم عليه. ربما سيقوم بإيذائك، أو حتى التخلص منكِ. لا تنسِ أنتِ الرابط الوحيد له بهذا المنزل. والتخلص منكِ يعني التخلص من المنزل واللعنة للأبد".

"يا رجل لقد تخطى الأمر حدود المعقول".

"حياتك أو المنزل". كرر.

"ألا ترى أن ذلك يعني أيضًا بأنك ستُفنى للأبد، أنت...وو...". أشارت للتوأمتين "وهاتين".

"خالتي، لقد فنينا وانتهى الأمر، أنا خائف عليكِ الآن. ستيف ليس كما كنت أعتقد، لا يمكن معرفة قدراته الكاملة بعدّ. لقد استطاع اللعب بعقلي وخلق سيناريو بدا حقيقيًا لدرجة جعلتني أصدقه".

"حسنًا، سأفعل ذلك". قالت على مضض. "لكن أخبرني أولًا من الذي قتل ستيف؟"

* * * *

تأخرها لم يعني له إلا شيء واحد من أمرين، إما أنها في انتظار صديقها المختل، أو أن جو قد وجد طريقه للتحدث إليها. أفقده القلق صوابه، حتى أوشك على الدخول، لولا أن قاطعه حضور مايكل المفاجئ. ليرتاح قليلًا، ظنًا منه بأن كل ذلك الوقت ما كان إلا انتظارًا لصديقها. فكر في دخول سيارة مايكل والبقاء فيها حتى يعود بصحبتها. لن يكون الأمر أسهل من ذلك، حادث سير بسيط وينتهي كل شيء وبهذا لا شيء سيُقيده حين يُنهي المنزل أيضًا إلى الأبد.

كل تلك الأفكار كانت تراوده، حين برزت فكرة شيطانية جعلته يشعر بالفخر لامتلاكه كل ذلك الذكاء. لماذا عليه الانتظار أكثر في حين يمكنه التخلص منهم جميعًا دفعةً واحده. حتى وإن تطلب ذلك دخوله للمنزل للمرة الأخيرة.

* * * *

.11.

توجهت جودي إلى دولاب صغير، بجانب التلفاز، كانت قد وضعت فيه كتابًا نصحها به عامل مكتبة، حين أخبرته عن شبحها الذي ترغب بطرده في محاولة لإقناع جو بقدرتها على التخلص من روح ستيف للأبد، لكنه لم يوافقها الرأي نظرًا لمحاولاتها الفاشلة سابقًا.

"لقد كنت أحاول طرد شبح لا أعرفه، ظننتها روحك في البداية وأن عليّ مساعدتك للعبور، لكني بحثت كثيرًا عن شيء من متعلقات كما أوصى الكتاب فلم أجد ما يُفيد، خاصةً بعدما تخلصت من متعلقاتكم فور وصولي. لذا فكرت بالتخلص من كل شيء بالقبو، وعلى ما يبدو كان ذلك قرارً خاطئًا".

"ليس ذنبك خالتي، الأمر تعدى كل قدرات العقل".

قاطع الحديث دخول مايكل المفاجئ، يناديها من المدخل: "عزيزتي، هل أنتِ هنا؟ عُدت للمنزل ولم أجدك".

"أنا هنا يا مايكل، بغرفة المعيشة".

تقدم نحو الغرفة ملوحًا بيده: "هيا الآن، سنتأخر عن موعـ..." أخرسه رؤية جو، كما أفزعه رؤية الأختين. "ابتعدي يا جودي.. أهربي". صرخ بها.

"انتظر يا مايكل. ليس كما تعتقد، دعني أشرح لك".

* * * *

في تلك الأوقات كان ستيف يتسلل من الخلف نحو باب المطبخ. كان عليه نزع أنبوب الغاز، قبل أن يُشعل فتيل النهاية. كان من السهل عليه إتمام ذلك، رغم شعوره الغير مريح، بعودته مرة أخرى إلى هناك. تسلل إلى المطبخ من الباب الخلفي، وبهدوء أقترب من الباب الأخر –المطل على ردهة المنزل– ليعرف ما يدبرونه له. كان الجميع وقتها مجتمعين في غرفة المعيشة، ولم يكن من السهل سماع ما يقولونه إلا بالاقتراب أكثر، وهو ما وجده فكرة سيئة للغاية. في النهاية هو لا يرغب بمعرفة أي شيء، لكن كان عليه التأكد من وجودهم جميعًا.

تقدم بخطوات بطيئة إلى الداخل، ليجد جودي تتحدث مع مايكل بينما يقف جو والتوأمان في الزاوية بالقرب منها، وبجانبها كتاب مفتوح. لم يكن عصيًا عليه فهم ما يجري، لذا وجد أن الإسراع في

تنفيذ خطته مطلوب. حاول جمع تلك القوة التي أخذ يحاول لسنوات السيطرة عليها، وبحركة واحدة أغلق جميع أقفال الأبواب والنوافذ دون أن يشعر أحد. ما زال ضعيفًا، فكر في طريقه إلى المطبخ.

* * * *

كان مايكل أحمقًا، لكنه لم يكن مجنونًا ليشاركهم ما يرغبون فعله. لذا أخبرها برغبته في المغادرة، وربما الانفصال من يدري. ما الذي قد يجبره على تحدي روح شريرة قتلها والدها قبل انتحاره، كي يمنع سلسال الدم من الاستمرار.

"لا أحد سيقدر على روح كهذه. ستقضين على نفسك".

"لا يمكنني أن أتركه يُكمل ما حاول والده إنهائه، كما أني لن أخسر جو مرة أخرى".

"لا يمكن خسارة ما خسرته بالفعل، لا تدعي عواطفك تقودك إلى ما لا يمكن حسبانه".

"لكن عليّ مساعدتهم.."

"أنت لا تفهم، فقد يسعى خلفها للتخلص منها، عليك مساعدتها لفعل ما تنوي عليه، إنه الأفضل للجميع". قاطعه جو.

"استمع إليّ، لن أنصت إلى نصائح شبح". ثم عاود النظر لجودي: "إستمعي إليَ، عليكِ ترك هذا الجنون، دعينا نهرب من هذا المنزل اللعين".

هزت رأسه في حزن: "أنا آسفه يا مايكل. لا أستطيع فعل ذلك".

حرك رأسه، زامًا شفتيه عن غير رضا: "حسنًا، يبدو أنني سأغادر وحيدًا".

للمرة الأولى تشعر جودي باضطراب شديد، يمنعها من اتخاذ قرار سليم. الحل الموضوع أمامها بدا غير منطقي بالمرة، فهل ستترك جو يواجه الأمر وحده؟ وهل كان ستيف ليتركها وشأنها إن كانت تناست الأمر؟ رؤيته لمايكل يغادر الغرفة جعلها تصاب باليأس وبشعور مفاجئ بأنها ربما على خطأ لكن عودته مسرعًا ليخبرها بأن الباب مغلق، أثارت بداخلها حالة من التوجس.

"لقد قام ستيف بتحريك حجر جديد في اللعبة،إنه متقدم علينا بخطوات، خالتي علينا فعل شيءٍ ما، قبل أن يقضي علينا جميعًا".

"يا إلهي، لقد أصبحت عالقًا معكم".

جمعت جودي قواها، تُقلب صفحات الكتاب بحثًا عن التعويذة: "أصمت يا مايكل".

إرتمى مايكل على الأريكة متأففًا، بينما تحلق التوأمان بجانب جودي الغارقه في البحث، حتى وجدت أخيرًا ضالتهابعد البحث في مئات من الصفحات.فكرت لبعض الوقت في الأشياء المطلوبة، ثم اتجهت إلى العُلية، حيث تركت بعض الأغراض التي أحضرتها سابقًا لنفس السبب. جذبت الصندوق نحوها، وأخذت تخرج ما في جوفه، واضعه كل ما قد يُفيد على الجانب الأيسر منها. وما أن انتهت حتى ضمتهم إلى حضنها، متوجهه للأسفل حيث الجميع.

أزاحت بمساعدة مايكل السجادة من على الأرض، ثم أخذت ترسم الأشكال المتواجدة بالكتاب، وضعت بعض الشموع–استعدادًا لإشعالها فيما بعدّ–، وقامت بطحن بعض المكونات سويًا في وعاء نحاسي –كانت قد اشترته يومها من ذات المحل الذي جلبت منه الأغراض– قبل أن تنثرها حول الدائرة. كان كل شيء جاهز تقريبًا، فتحت الكتاب على مصرعيه، لتلقي التعويذة لولا أنها تذكرت عدم إضائتها للشموع، فسألت مايكل أن يذهب للمطبخ بحثًا عن كبريت أو أي شيء يمكن استخدامه لإشعالها. تأفف مرة أخرى، وهو يبرطم غير مصدق هذا الجنون الذي أوقع نفسه فيه.

طلبت جودي من جو والتوأمين الجلوس بجانبها، ودعت أن تجري الأمور كما تريد.

"خالتي جودي أتذكرين تلك القداحة التي اعتادت والدتي وضعها هنا بالدرج، كلما أضاعها والدي، يمكنك البحث عنها، للإسراع في إضاءة الشموع".

"أي درج! لقد أزلت كل ما كان بالأدراج كلها، ولم أرى تلك القداحة".

"أنه الدرج الصغير أسفل تلك الطاولة". مشيرًا إلى الطاولة الصغيرة بجانب الباب.

"أؤكد لك أنني لم أرى أي درج صغير أو قداحة". قالت وهي تحث جو على أن يتبعها.

أشار جو إلى درج صغير لم تلحظه يومًا جودي، والذي لحسن الحظ كان يحتوي على أغراض أخرى صغيرة جدًا، منها القداحة.

"لقد اعتادت أمي وضع الأغراض المهمة، ذات الأحجام الصغيرة هنا، ليسهلإيجادها".

"أحسنت، هيا لنشعل الشموع إذن. مايكل تعال، لقد وجدنا قداحة". نادته بصوتٍ عال.

* * * *

في المطبخ كان مايكل يعبث بالأدراج دون جدوى، حين لاحظ وجود رائحة غريبة، دفعته للبحث عن مصدرها، الذي اكتشفه مؤخرًا مع صيحات جودي تناديه.

"لقد وجدت قداحة.. قداحة... لا". همس لنفسه قبل أن يصرخ بها: "جودي، لا، انتظري".

* * * *

.12.

اقتربت المذيعة من الكاميرا، تضبط هيئتها قبل إعطاء إشارة البث المباشر،وما أن أُضيء اللون الأحمر، حتى بدأت في قراءة ما يوضع أمامها على الشاشة الصغيرة للأخبار.

"تعرض منزل مساء أمس لحريق كبير، سارع رجال الإطفاء إلى إخمادة قبل أن يتسبب في خسائر كبيرة، وقد وضح الضابط القائم على التحقيق، أن سبب الحريق غير معروف بعدّ. على الرغم من تواجد بعض الشكوك بأن الحادث متعمد، خاصةً بعد ما توارد للشرطة من معلومات عن قيام صاحبة المنزل بتأمينه قبل وقت من وقوع الحادث.

وحتى الآن لم تتأكد أخبار لدى مراسلينا عن وقوع ضحايا، وما زال البحث جاريًا عنهم، إن وجدوا. فعلى حسب المعلومات الواردة إلينا، المنزل معروض للبيع ولا يقطنه أحد، وقد أكدت مراسلتنا هناك بأن صاحبة المنزل لم تظهر حتى الآن للإدلاء باقوالها، على الرغم من اتصال الشرطة المتكرر بها، مما يشير إلى أنها قد تكون الجانية وراء ما حدث. وما زالت الشرطة في انتظار الحصول على النتائج التي تؤكد ذلك كما وضحنا سابقًا.

رانيا حجاج

والآن يمكننا الانتقال إلى الخبر الذي يليه....."

* * * *

النهاية

أنهى الكاتب سطره الأخير في روايته، وذيل توقيعه أسفل الصفحة "جو ماك". أغلق ملف الوورد، رفعه في رسالة ببريده الإلكتروني، ثم ضغط زر الإرسال إلى ناشره. أخيرًا عمل بنصيحة طبيبه، الذي طلب منه كتابة كوابيسه على الأوراق، "الكتابة ستساعد في تحريرك". هذه كانت كلماته، وقد تمنى لو يحدث ذلك.

انتصب بعدها يمد ذراعيه، شادًا قبضته. أزاح كرسي مكتبه بقدمه، وتقدم نحو سريره. جلس على الحافة، ينظر إلى علب الأدوية الملونه أمامه، والتيوجب عليه فتح كلًا منها بالترتيب، بغية أخذ حبه واحدة من كل علبة، كما أمره طبيبه النفسي المعالج، لكن الكثير من حبات المهدئ، ومضادات الاكتئاب، ومضادات الهلوسه صُبت في يده. تأملها لبرهة، قبل أن يضعها كلها في فمه، يتبعها جرعات كبيرة من الماء، ليساعدها على الانزلاق بسهوله.

أرخى بعدها جسده على السرير، حتى مضى الوقت الكافي لإعطاء جفنيه الإذن بالارتخاء أيضًا، بينما تطالع مقلتاه التوأمتين الواقفتين بجانبه، تنظران إليه بعيونٍ خاوية.

تمت

رانيا حجاج

ننتظر رأيكم على صفحة الرواية ع الجودريدز

رانيا حجاج

أعمال الكاتبة

- مجموعة قصصية "لاتيه" 2013 عن المركز الثقافي الأول بأسيوط –مصر
- رواية "ذات الوشاح الأخضر" 2014 عن دار الفؤاد للنشر والتوزيع
- رواية "الروهينغا" 2014 عن دار غراب للنشر والتوزيع –مصر
- رواية "ميراث الدم" 2015عن دار ن للنشر والتوزيع –مصر
- رواية "عزيزة مونرو" 2015 عن دار الفؤاد للنشر والتوزيع (عدد خاص)–مصر
- رواية "فتاة من مومباي" 2016 عن دار ملهمون للنشر والتوزيع–الأمارات
- رواية "ما تبقى من الحب" 2017 عن دار منارة العلم للنشر والتوزيع– الأمارات
- رواية "حاصدة الأمنيات" 2020 عن دار أم كيه للنشر والتوزيع– مصر

رانيا حجاج